متن أرجوزة

عُدَّةِ الطَّلَب

بنظم منهج التلقي والأدب



أَوْ

«أُرْجُوزَةُ الآدابِ»

نَظْمُ الفَقِيرِ إلى عفو ربه

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّد سُفْيَانَ الْحَكَمِيّ

رَاجَعَهُ وَقَرَّظَهُ العَلّامَةُ الشَّيْخ

مُحَمَّدُ سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدِ عَلِيّ بْنِ عَبْدِ الْوَدُودِ الشَّنْقِيطِيّ

نفع الله به

قَدَّمَ لَهُ

معالي الدكتور الفقيه

صَالِح بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَيْد

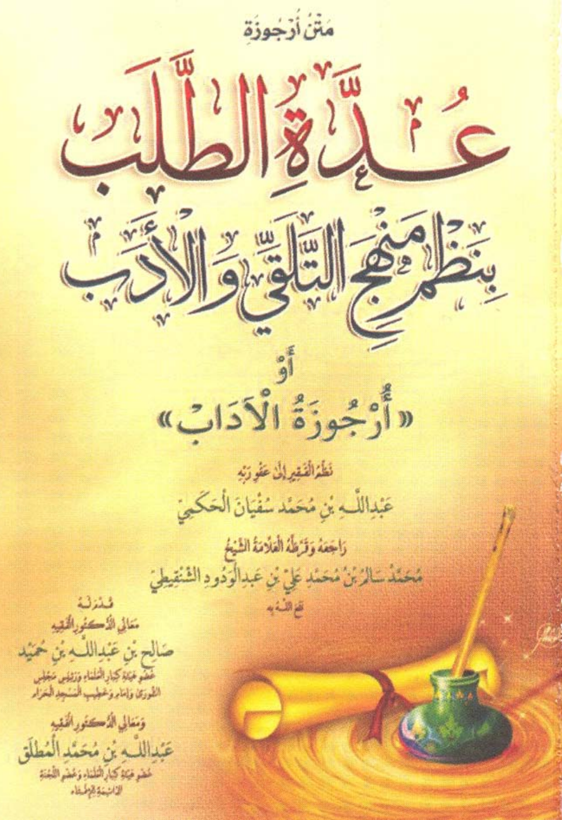
عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجلس الشورى وإمام وخطيب المسجد الحرام

ومعالي الدكتور الفقيه

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمُطْلَق

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء





مَتْن أُرْجُوزَة
عُدَّةِ الطَّلَب
بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالأَدَب
أَوْ
« أُرْجُوزَةُ الآدَابِ »
نَظَمَ الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ
عَبْدِاللَّـهِ بْنِ مُحَمَّد سُفْيَانَ الحَكَمِيّ
رَاجَعَهُ وَقَرَّظَهُ العَلَّامَةُ الشَّيْخ
مُحَمَّدُ سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدِ عَلِيّ بْنِ عَبْدِالوَدُودِ الشِّنْقِيطِيّ
نفع الله به
قَدَّمَ لَهُ
مَعَالِي الدُّكْتُورِ الفَقِيه
صَالِح بْنِ عَبْدِاللَّـهِ بْنِ حُمَيْد
عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجلس
الشورى وإمام وخطيب المسجد الحرام
وَمَعَالِي الدُّكْتُورِ الفَقِيه
عَبْدِاللَّـهِ بْنِ مُحَمَّدٍ المُطْلَق
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة
الدائمة للإفتاء

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحكمي ، عبدالله محمد سفيان

عدة الطلب بنظم منهج التلقي والأدب أو « أرجوزة الآداب » .

عبدالله محمد سفيان الحكمي - الرياض ١٤٢٧ هـ

٧٩ ص ؛ .. سم

ردمك : ٧ - ٧٧٣ - ٥٦ - ٩٩٦٠

١- الاسلام والعلم ٢ - الآداب الإسلامية . العنوان

ديوي ٧ ، ٢١٩ ١٤٢٧/٦٢٣٥

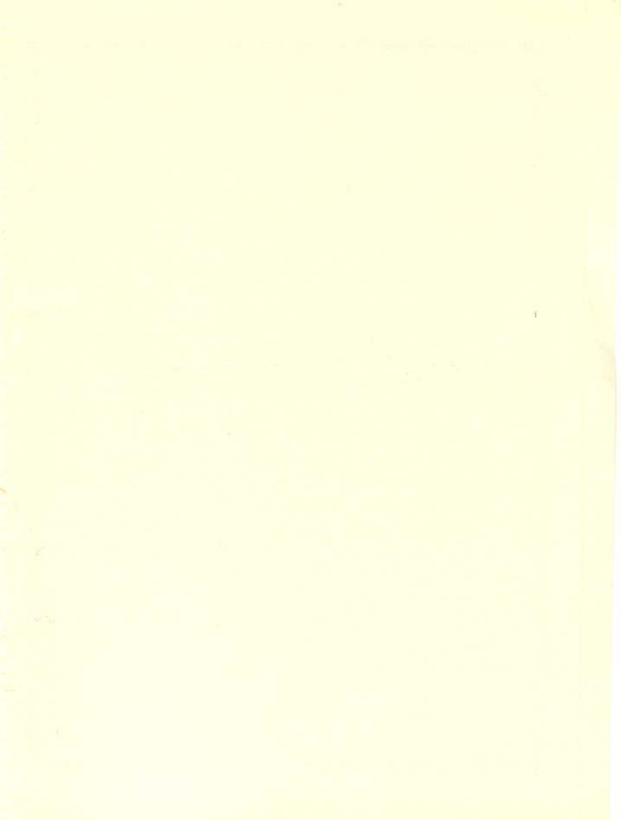
رقم الإيداع : ١٤٢٧/٦٢٣٥

ردمك : ٧ - ٧٧٣ - ٥٦ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م


بسم الله الرحمن الرحيم



﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

تَقْرِيظٌ

بقلم شيخنا العلامة الشيخ: محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود ((عدُّود)) الهاشمي الشنقيطي أمتع الله به، وذلك بعد أن عُرضت عليه في صيف عام ١٤٢٦هـ.

كَمْ مِن يَدٍ لِلْحَكَمِي ... لَدَيَّ لَمَّا تُشْكَمِ[١]

سَيَّرَ لِي أُرْجُوزَةً ... كَالنُّورِ فَوْقَ الأَكَمِ[٢]

كَانَتْ لَهُ مَحْجُوزَةً ... لَمْ يَسْبِهَا قَبْلُ كَمِي[٣]

بِـ ((عُدَّةِ الطَّلَبِ)) قَدْ ... نَظَمَ شَمْلَ الحِكَمِ

مَا البِيضُ[٤] فِي رَوْضِ الحِمَىٰ ... كَبَيْضِهَا المُرَكَّمِ

---

(١) لَمَّا تُشْكَم : لـمَّا تُـجْزَ ، من شَكَمَه يشْكُمُه شَكْماً - بضم الشين ، أي جزاه .

راجع ((مختار الصحاح)) : ص (٣٤٥ - ش ك م) .

وفي حديث مرسل أخرجه الشافعيّ في مسنده برقم (١٥١٨) باسناده عن طاوس مرفوعاً قال :

احتجم رسول الله ﷺ ، وقال للحجَّام : ((اشْكُمُوهُ)) ، أي اعطوه أجره .

(٢) الأَكَم : جمع إكام ، والإكام : جمع أكَمَة ، وهي الرابية .

راجع ((النهاية)) : ص (٤٥ - أكم) .

ويطلق - كما في ((اللسان)) (١٢/٢١ - أكم) على كل ما أشرف من الأرض وارتفع .

(٣) كَمِي : الكَمِيّ ، هو الشجاع ، سُمِّي به ؛ لأنه يتكمّىٰ في السلاح ، أي يتغطّىٰ به .

راجع ((العين)) ص (٨٥٤ - كمي) .

(٤) البيض : وصف لمحذوف ، أي الإبل أو النوق البيض .

كَمْ أَبْرَدَتْ مِن نَظْمِ تَعْ......لِيمِ بَدِيعٍ مُحْكَمِ
فَصَارَ مُنذُ بَرَزَتْ مَن يَنتَشِقْهُ يُزْكَمِ[1]
تُصْمِي[2] الْمُعَارِضَ لَهَا بِصَمَمٍ وَبَكَمِ
فَاللهُ يَجْزِيهِ جَزَا......ءً لَا يُكَالُ بِكَمِ

---

(١) أجد حرجاً شديدًا من شرح المراد من هـٰذين البيتين، ولـٰكن لكثرة السؤال عن ذٰلك أقول: مراد شيخي رفع الله مقامه: أن هـٰذه الأرجوزة لما برزت أي ظهرت للوجود أبردت كل ما سبقها من النظم المحكم في هـٰذا الباب، فصار من ينتشق هـٰذا النظم يصيبه الزكام، وهـٰذا من الاستعارات البلاغية التي تحتاج إلىٰ تأمّل، والمعنىٰ أن هذه الأرجوزة فاقت ما سبقها من المنظومات في آداب الطالب، والله المستعان، والسبب أن المنظومات في هذا الباب ـ حسب اطلاعي القاصر ـ قليلة موجزة كمنظومة اللؤلئيّ، وأجمع ما وقفت عليه «المنظومة الميميّة» لشيخ مشايخنا الشيخ العلّامة حافظ بن أحمد الحكميّ رحمه الله تعالىٰ، وتقع في نحو ٢٥٠ بيتاً.
وأنا لم أقتصر علىٰ الآداب وحدها في هـٰذه الأرجوزة، فقد ضممت إليها ما يتعلق بالمنهجية في الطلب، وشروطه، وعوائقه، وغير ذٰلك.

(٢) تُصمي: أصل «أصمىٰ» من أصمىٰ فلان الصيد: إذا رماه فقتله مكانه.
راجع «معجم مقاييس اللغة»: ص (٥٥٢).
والمعنىٰ: أن هـٰذه الأرجوزة تصيب المعارض لـها بما ذكره الشيخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

كم من يدٍ للمرتجي	لديَّ لمّا تُشكَمَ
سيّرني أرجوزةً	كالنُّور فوق الأكَم
كانت لـــو معجوزة	لم تَبنِها قبلُ فمي
بقدّة الطلب قد	نظمٌ تمثّل اليكم
ما البيضُ في روض اليمن	كتبتُها المزدحم
ثمّ ابردت من نظمه	لبيم بديع محكم
فصار منذ برزت	من ينتشقه يزكم
تضحي الشعار ضربا	بمعجم وبكم
فالله يجزيه جا	ة لا ينال بمجم ؟





تـقديـم

بقلم معالي الشيخ الفقيه الدكتور: صالح بن عبدالله بن حُمَيْد

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينـا محمد، وعلى آله وصحبه.

و بعد: فقد اطّلعت على أُرْجُوزة «عُدَّةِ الطَّلَبِ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَـقِّي وَالْأَدَبِ» من نظم أخينا الشيخ عبدالله بن محمد سفيان الحكميّ، فوجدتـها أُرجوزة نافعة لطلاب العلم، وأحسن ما يـمّيزها أنه ضمنها «٩٠» بيتاً من نظم طائفة من العلماء السابقين كاللؤلئيّ والـهلاليّ والزبيديّ وغيرهم، وهـذا النظم مفرّق في طائفة من تصانيف أهل العلم، فاجتمع في هـذه الأُرجوزة.

أسأل الله تـعـالى أن يـنفع بـها الناشئين في طلب العلم، وأن يثيب الشيخ عبدالله على ما بذله من جهد، وصلّى الله وسلّم على خير خلقه، وعلى آله وصحبه.

وكتبه

صالح بن عبد الله بن حُمَيْد

عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس مجلس الشورى، وإمام وخطيب المسجد الحرام.

تقديم

بقلم معالي الشيخ الفقيه الدكتور: عبدالله بن محمد المطلق.

الحمدلله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على خير خلقه، وعلى آله وصحبه.

وبعد: فقد اطَّلعت على الأُرْجُوزة التي نظمها أخونا الشيخ عبدالله بن محمد سفيان الحكميّ، وقد سمّاها «عُدَّةَ الطَّلَبِ بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبِ» وهي أرجوزة تجمع بين الشمول، وسلاسة الأسلوب ووضوح المعاني، تناول فيها فضل العلم وأهله، والمنهج العلميّ الذي جرى عليه أسلافنا حيث بيّن أنه منهج قائم على أسس متينه، وشروط متممة لهذه الأسس، وركّز بوجه خاص على أهمية الحفظ الذي فرّط فيه الكثير من طلاب العلم في هذا الزمن مع أنه من أهم الوسائل العلمية لطلب العلم.

ثم عرّج على أهم الآداب التي يتحلّى بها طالب العلم في نفسه، ومع شيوخه وأقرانه، وكذلك آداب المعلم في نفسه ومع طلابه، وانتهى به المطاف إلى ذكر عوائق الطلب التي تعترض طريق طالب العلم ليحاول تجنبها والتغلب عليها.

ولا ريب أن هذه الأُرجوزة تسهم في رسم المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يسير عليه طلّاب العلم حتى يسلموا من الجنوح إلى الغُلُوّ الذي وقع فيه بعض الشباب اليوم، وترتب عليه كثير من الخلل.

ومما يزيد الانتفاع بهذه المنظومة أن تُسجّل في شريط مسموع كي يرغب الطلاب في الإقبال على سماعها، وهو أمر حرص عليه الناظم في سلسلته

التي يقوم بتحقيقها، ولا ريب أن تسجيل هذه المتون العلمية أنفع لطلاب العلم من الإسراف في سماع الأناشيد العاطفية.

وإنني أدعو طلاب العلم إلى العناية بهذه الأرجوزة ومدارستها، والوقوف عند الأحاديث والآثار وأخبار العلماء التي وردت فيها، والتخلق بما ذكر فيها من آداب ووصايا.

أسأل الله تعالى أن يبارك في جهود الشيخ عبدالله الحكمي، ويسبغ عليها ثوب القبول، ويرزقنا جميعًا الإخلاص في القول والعمل، إنه خير مسؤول.

وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبينا وقدوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه.

عبدالله بن محمد المطلق

عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناظم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على المفرد العَلَم، المبعوث إلى الجن والإنس عربهم والعجم، وعلى آله وصحبه أولي المكارم والفضائل والشيم، وعلى من اتبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم يحشر الله الأمم.

وبعد: فإن ما نراه اليوم في حياة المسلمين من الجهل بأحكام الشرع ومقاصده وظهور الغُلُوّ في الدين لدى بعض أفرادهم يرجع ذلك في معظمه إلى غياب المنهجية الصحيحة في طلب العلم الشرعيّ ومعرفة آدابه.

ولعل الحاجة إلى التركيز على هذه المنهجية الصحيحة في هذه الفترة الزمنية أشد، وذلك لأن عدم الأخذ عن العلماء العاملين وصحبتهم والتأدُّب بآدابهم أوقع طوائف من طلّاب العلم في كثير من الشطط والتنطُّع، والغُلُوّ في الأحكام على المسلمين ونواياهم، وتجهيل أهل العلم وتنصيب أنفسهم بديلاً عنهم.

ولقد كان موضوع المنهجية في الطلب أمرًا يشغل بالي كثيرًا، وكنت أتلمس هذه المنهجية من خلال حضور الدروس العلمية المنهجية، ومطالعة الكتب التي صُنفت في فضل العلم، والأخذ عن الشيوخ، وفضل الحفظ، والعناية بالطلب في الصغر، ومعرفة آدابه، وعلى مدار عقد ونصف حاولت جمع أهم أسس التحصيل العلميّ - في فترات متباعدة - فاجتمع لديّ عام ١٤١٤هـ سبعة أسس ثم أضفت إليها أسسًا أخرى كلما سنحت الفرصة، إلى أن أصبحت هذه الأسس

في صيف عام ١٤٢٤ هـ ستة عشر أساسًا ، وحين شاركت - في صيف العام الآنف الذكـر - في عقد دورة علمية في علم مصطلح الحديث ، جعلت الحديث في الدرسين الأولين عن المبادئ العشرة التي ينبغي على كل طالب علم أن يعرفها قبل الشروع في أي علم من العلوم .

وبـدهيٌّ أن أتـناول موضوع أسس التحصيل العلميّ وشروطه من خـلال الحديث عن هـٰذه المبادئ العشرة .

واقتداءً بالعلماء في نظم المسائل العلمية ليسهل حـفظها واستيعابـها ، نظمت هـٰذه الأسس ، وأضفت إليها نظم أهم شروط التحصيل العلميّ فبلغت ١٦٣ بيت وتوقفت عند هـٰذا الحـد ، وفي متنصف عام ١٤٢٥ هـ ، يسر الله لي مقابلة شيخنا العلّامة الشيخ محمد سالم في مكة في فترة حضوره جلسات مؤتمر المجمع الفقهيّ التابع لرابطة العالم الإسلاميّ ، وقرأت عليه هذا المقدار الذي ذكرته آنفًا ، فاستحسنه وشجعنيّ وحفز همّتي ، فعمِدت إلىٰ كتاب ((تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم)) للإمام ابن جماعة الكنانيّ رحمه الله تعالىٰ لشموله وحسن ترتيبه وإيجازه ، فنظمت جُلّ ما يتعلق بآداب الطالب والمعلّم والآداب المشتركة بينهما والآداب المتعلقة بالكتب ، ثم أضفت فصولاً رأيت أهميتها في فضل العلم وثمرات العلم الشرعيّ ، وتقسيم العلوم ، وأفردت فصلًا في الحفظ وبيان أنه أهم أسس التحصيل العلميّ ، وآخر في شروطه ، وختمت هذه الأرجوزة بفصل في أهم عوائق الطلب .

فارتكزت هـٰذه الأرجوزة علىٰ مقدمة وبابين رئيسين ، واشتمل كل باب علىٰ خمسة فصول ، ثم خاتمة .

ولست -يا طالب العلم- في حاجة إلىٰ الإطالة عليك بذكر عناوين فصولها، وما يحويه كل فصل من المسائل والأبحاث، فهي بين يديك.

وبعد أن منّ الله عليّ بإتمامها بعثت بها إلىٰ شيخي العلّامة الجليل الشيخ محمد سالم، ورغبت إليه ملحًّا أن يطلع عليها ويقوّم ما اعوج منها، مع علمي سلفاً بكثرة أعباء الشيخ، وأن ما ينوء به من الأعمال العلمية وغيرها لا يسوغ معه إشغاله بأعمال أخرىٰ.

والذي جرّأني علىٰ هٰذا الطلب أمران:

أولهما -أنني أعدّ نفسي واحدًا من تلاميذ هذا العَلَم- وإن كنت لم أَثْنِ ركبتيّ في محضرته العامرة- فقد أفدت من علمه مسائل علمية متنوعة، واهتبلت كل فرصة سنحت لي بالالتقاء به أو مهاتفته، وكم من معضلة علمية لم أجد الإجابة عليها في الكتب وجدت حلّها عنده، أجزل الله مثوبته.

ثانيهما -أنني مارست قول الشعر في سن الصِّبا، ثم صرفت هٰذه الموهبة للنظم العلميّ، إلا في أحوال لا بد أن أستجيب فيها لداعي الشعر وبواعثه.

والنظم العلميّ أنفع لطالب العلم في نظر كثير من العلماء، تُعقد به شوارد المسائل مما لم يجده الناظم منظومًا من قبل، وتضبط به أكثر القواعد العلمية.

ومن هٰذه الأمور التي احتجت أن أنظمها لنفسي ولطلّاب العلم الناشئين في الطلب أسس التحصيل العلمي، وشروطه، ثم رأيت أن أضيف إلىٰ ذٰلك أهم ما تضمنه كتاب «تذكرة السامع والمتكلم» -كما أسلفت- وأبحاثًا أخرىٰ رأيت أن أضيفها إلىٰ عقدها، بعد أن وجدت التشجيع من شيخي، كما تقدم.

ومن طبيعتي أني لا أَعُدّ أيّ عمل علميّ أنتهي من إعداده موثوقاً به ونافعاً لطلاب العلم حتىٰ يُزَكّىٰ من قِبل بعض من أثق بهم من أهل العلم.

ولما كان شيخنا أمهر من عرفت بهذه الصناعة، وأجلّ من يحسن صياغة الكلام، بعثت بهذه الأرجوزة إليه مع الزميل الفاضل الشيخ محمد بن أحمد جدّو حيث عرضها ـ أثابه الله تعالىٰ ـ عليه كاملة في صيف عام ١٤٢٦ هـ، إلّا أبياتاً يسيرة زدتها بعد ذلك، ثم عرضتها عليه في زيارته الأخيرة أوائل هذا العام ١٤٢٧ هـ حينما شارك في جلسات المجمع الفقهيّ التابع لرابطة العالم الإسلاميّ، وقد انتفعت بتصويباته، وأثبتها في مواضعها، وهي وإن كانت يسيرة إلّا أنها عظيمة النفع.

وإليك ـ يا طالب العلم ـ هذه التصويبات لتعرف الدقة، وانتقاء اللفظ المناسب، وحضور البديهة عند شيخنا حفظه الله تعالىٰ.

الموضع الأول: قولي في الفصل الأول في البيت رقم (٥٦):

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَتَىٰ فَلْتَدْرِيَهْ   مُتَّفَقًا عَلَيهِ عَنْ مُعَاوِيَهْ

وهو مستقيم من حيث المعنىٰ، غير أن فيه سناداً، اقتضىٰ معه أن يؤتىٰ بكلمة فيها ألف التأسيس فجعل مكان «فَلْتَدْرِيَهْ» قوله «يَا بَاغِيَهْ» أي: يا مريده.

الموضع الثاني: قولي في البيت رقم (٧٩):

حَيْثُ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي   أُمَامَةَ الْحَبْرِ الأَبِيِّ الأَغْلَبِ

وحينما سمع الشيخ هذا البيت علق عليه بأن لفظ «الأَغْلَبِ» وصف للأسد وليس من أسمائه، ومعناه: غليظ الرقبة، ولا يصلح أن يوصف به الإنسان لا سيما إذا كان صحابياً، فجعل مكانه: «الْقَيْسِيِّ صَاحِبِ النَّبِي».

ولعلي أُعجبت بجمال الألفاظ، فعدلت عن المعنىٰ اللُّغويّ جهلاً مني به.

الموضع الثالث: قولي في البيت رقم (٢١١) عن أهمية النظم:

وَهْوَ لِطُلَّابِ الْعُلُومِ أَنفَعُ　　وَلِلْفَوَائِدِ الْحِسَانِ يَجْمَعُ

أشار عليّ بإبدالها بلفظ «أَجْمَعُ» حتىٰ تكون في مقابلة لفظ «أَنفَعُ» في آخر المصراع الأول.

الموضع الرابع: قولي في البيت رقم (٤٤٥):

فَلْتَثْنِ رُكْبَتَيْكَ فِي الْمَسَاجِدِ　　مُلَازِمًا لِكُلِّ شَيْخٍ مَاجِدِ

أشار عليّ حفظه الله بجعل «مُثَافِنًا» مكان «مُلَازِمًا» والمثافنة هي المجالسة والملازمة، يقال ثافنه فهو مثافن، وثافنت علىٰ الشيء واضبت، ففي اللفظ زيادة في المعنىٰ كما ترىٰ.

الموضع الخامس: قولي في البيت رقم (٨٧٩):

وَزِينَةُ الْعَالِمِ فِي التَّوَاضُعِ　　وَلَيْسَ فِي الزَّهْوِ وَلَا التَّصَنُّعِ

وهٰذا فيه سناد كما تقدم، فلفظ «التَّوَاضُعِ» فيه ألف التأسيس بخلاف «التَّصَنُّعِ» فلم تدخله هٰذه الألف، فقال الشيخ في بداية الأمر: الأفضل أن يُصْلَح، فقمت بإصلاحه، ثم جاءني بعد ذلك إصلاح الشيخ فأثبتُّه؛ لأنه أبلغ بكثير، وهو قوله حفظه الله تعالىٰ: «فَالزَّهْوُ وَالْعِلْمُ ذَوَا تَدَافُعِ».

وهناك ست كلمات أو سبع أبدلها الشيخ بأحسن منها، وأخرىٰ كان ضبطي لها مخالفًا للضبط الصحيح، وحفظتها في الصبا علىٰ هٰذا النحو الخاطئ وهي خمس كلمات، أحببت إيرادها ليستفيد مَن حَفِظَها مثلي مخطئًا في ضبطها:

١) كلمة ((هِجْران)) التي وردت في آخر المصراع الأول من البيت رقم (٣٩٠) فقد كنت انطقها بضم الهاء.

٢) كلمة ((وَاعْمِدْ)) الـواردة في أول المصراع الثاني من البيت رقم (٤١٣) فقد كنت أنطـقها بفتح الميم.

٣) كلمة ((نَـفْرَة)) في قولي ((فَقَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِـنَفْرَتِهْ)) وهو المصراع الثاني من البيت رقم (٥٤٠) فقد كنت أنطقها بضم النون تأثراً باللهجة الدارجـة.

٤) كلمة ((يَشْغَل)) الواردة في المصراع الثاني من البيت رقم (٦٦٣) ص (١٤٥) فقد كنت أنطقها بضم الياء وكسر الغين، لأنني سمعت هـذا الضبط في صِباي وبقي هـذه السنين الطويلة.

٥) كلمة ((تَـزْهَر)) الواردة في آخر المصراع الثاني من البيت رقم (٨٩١) فقد كنت أنـطقها بضم التاء وكسر الهاء، وهـذا الضبط كسابقيه مما حفظته في الصِّبا وبقي دون تصحيح إلىٰ أن صححه لي الشيخ أكرمه الله تعالىٰ.

وقـد شرّفني شيخي العلّامة محمد سالم أعلىٰ الله مقامه بثنائـه علىٰ هـذه الأرجوزة حيث قرّظها - بعد أن تمت قـراءتها عليه - بأبيات تكتـب بماء العينين وغمرني بما لا أستحق من العطف والتشجيع والتكريم، أحسن الله إليه.

ولا بد قبل أن أختـم هـذا التقديم من الإشارة إلىٰ بعض الحـقائـق المتعلقة بالأرجوزة مضموناً وشكلاً.

أولاً: أن بحر الرجز تدخله بعض الضرورات، منها ما هو سائغ لغة، ومنها ما ليس سائـغـاً.

وقد تجنّبت بفضل الله وعونه هـٰذه الضرورات إلّا في مواضع يسيرة حصل فيها ما يعرف بـ ((مزدوج الزِّحاف)) وهو ما يسمّىٰ في بحر الرجز بـ ((الخَبْل)) وهو إسقاط ثانيه ورابعه الساكنين ، فيصبح ((مُسْتَفْعِلُنْ)) ((مُتَـعِلُنْ)) أي : تتوالىٰ فيه أربع حركات ، تنقل بعد ذلك إلىٰ ((فَعَلَتُـنْ)) .

والخَبْل يضطر إليه الناظم في مواضع ، أهـمها : حـرص الناظم علىٰ التـقيـيد بلفظ وارد في حـديث من الأحـاديث ، وقـد حـصل لي في هـٰذه الأرجـوزة مواضع يسيرة ، أوردها علىٰ النحو الآتي :

١) قـولي في المصراع الأول من البيت رقم (٧٠) ص (٥) ناظـمًا حـديث : ((مَن سَلَكَ طَرِيـقًا يَطْلُبُ فِيـهِ عِلْمًا ...)) الحديث :

وَفِـيهِ مَن سَلَكَ دَرْبًا يَطْلُبُ اَلعِلْـمَ فِيـهِ فَضْلُهُ لَا يَـعْـزُبُ

فيلحظ البصير بـالنظم دخـول الخَبْل في المصراع الأول من البيت بسبب إبقائي لفظ ((مَنْ سَلَكَ)) كما هو في الحديث ، وبإمكاني التخلص منه ، لـٰكنه يذهب بجمال سياق الحديث وبـهائه .

٢) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٢٠٢) ص (١٥) :

وَهَـٰذِهِ الْأُسُسُ سِتَّـةَ عَشَرْ .... البيت .

والأسس جمع أساس ، ويـمكن أن أقول : ((وهـٰذه الآسَاسُ ...)) وأتخلص بذلك من الخَبْل ، لـٰكن الآساس جمع أسُس ، وهو المقصور من لفظ ((أساس)) ويمكن أن أجعل مكان ((أسُس)) ((إسَاس)) وهو جمع ((أسّ)) ولم أستملح هـٰذا فكان لا بد من إثبات لفظ ((الأسس)) لوضوحها وشهرتها ، وتكرّرَ هٰذا الاستعمال

في المصراع الأول من البيت رقم (٢٠٦) والمصراع الأول من البيت رقم (٢٢٤) .

٣) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٤٤٢) ص(٣١) :

مَن وَلَجَ الْكُتُبَ وَحْدَهُ خَرَجْ مِنْهَا ...)) البيت .

ويمكن أن أجعل مكان ((الكتب)) ((الأسفار)) وبذلك أعالج مشكلة الخَبْل لكنني لا بد أن أتقيد بإيراد هذا اللفظ ؛ لأنه ورد في الأثر المرويّ عن الشافعيّ رحمه الله تعالىٰ، والأولىٰ في نظم النصوص أن يتقيد الناظم بألفاظها قدر الإمكان .

٤) قولي في المصراع الأول من البيت رقم (٥٥٤) ص(٣٨) :

وَاحْذَرْ مِنَ الْعَبَثِ بِالثِّيَابِ ...)) البيت .

ولا يحضرني لفظ أنسب من لفظ ((العبث)) في هذا الموضع ، فكان لا بد من التقيّد به .

هذه هي المواضع التي حصل لي فيها خبل في كلمتين .

وسبب استثقال الخبل نسبيًا وروده في كلمتين كما في الأمثلة السابقة .

أما إذا ورد في كلمة واحدة ، فإنه لا يكاد يُدرك ، بل لا يدركه إلا حاذق بالنظم .

وقد حصل لي ذلك في مواضع يسيرة .

منها : ما جاء في أوّل مصراعي البيت رقم (٦٠) ص(٥) :

وَمَثَلُ الْفَقِيهِ كَالْأَرْضِ الَّتِي قَبِلَتِ الْمَا ...)) البيت .

وفي آخر المصراع الأول من البيت رقم (٢٨٩) ص(٢٠) ، حيث جاء فيه قوله : ((فَحَفِظَهْ)) ونسيت موضعًا في المبادئ العشرة وهو ((ثمرته)) في البيت ((٢١٨)) .

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٤٠٩) وفيه : ((وَبِعُلُوِّ الْهِمَةِ اتَّصِف ...)).

وفي كلمة ((نـقـلا)) في آخر المصراع الثاني من البيت رقم (٤٤٩) ص(٣٢):

فَإنَّهُ إن تُـعْـطِـهِ كُـلَّكَ لَا يُـعْـطِيكَ إلَّا بَعْضَهُ، وَنُـقِلَا

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٦١٥) ص(٤٧):

((فَبِصَلَاحِ الْقَلْبِ يَصْلُحُ الْجَسَدُ)).

وفي أول المصراع الأول من البيت رقم (٧٥٩) ص(٥٣):

(بـ((عَمَلِ الْيَوْمِ مَعَ اللَّيْلَةِ)) قَدْ سُمِّيَ عِندَ السَّالِفِينَ ...) البيت.

وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن الخبل ليس على درجة واحدة، بل إن الأخفش - سعيد بن مسعدة - يرى أنه سائغ في بحر الرجز فقال في ((كتاب العروض)) ط: الفيصلية: (فـ((فَعَلَتُنْ)) فـيـه أحـسن منه في البسيط والسريـع، لأن الرجـز يستعملونه كثيرًا، وإنما وضعوه للحُدَاء، والحُدَاء غناء، وهم وكلامهم إذا كانوا في عمل أو سَوْق إبل، فالحذف مما يكثر في كلامهم أخفّ عليهم، قال:

((هَلَّا سَأَلْتِ طَلَلاً وَحُمَمَا))

وقال:

((قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهُ فَجَبَرْ)) فلم يقبُح)[1] انـتـهى ما أردت نقله.

وفي تـقـديـمي لمتن ((الْمُوثَّـقِ مِنْ عُمْدَةِ الْمُوَفَّـقِ)) لشيخنا العلامة الشيخ محمد سالم، ذكـرت نماذج لطائفة من أكبر الشعراء قديمًا وحديثًا، وقع فيها هـؤلاء في الخبل[2]، مما يدل على تعذر السلامة منه، لا سيما في النظم العلمي.

---

(١) ص (١٤٩).

(٢) ص (٥٣ - ٥٧).

وأظن أن الذين شدَّدوا في أمره لم يمارسوه في بحر الرجز، وقاسوه على دخوله في بحور أخرى، ولا ريب أن دخوله في البسيط والمنسرح قبيح.

ومع هـذا فيحسن بالناظم أن يتجنب الوقوع فيه إلَّا إذا اضْطُرَّ إلى ذلك.

ومن الضرورات التي تقع في بحر الرجز: ((السِّنَاد)) وهو يقع في القافية، والسِّنَاد إذ كان من قبيل تناوب الضمة مع الكسرة ونحو ذلك، فهو كثير في شعر العرب، ولا يرى الأخفش: سعيد بن مسعدة هـذا من قبيل السناد.

وقد حصل لي سناد التأسيس في أربعة مواضع، تم إصلاح موضعين، وبقي اثنان كان لا بد من إبقائهما؛ لأنهما يتعلقان بمصطلحين من مصطلحات علوم الحديث هما ((**المشهور والمتواتر**)) ولا يمكن التعبير عنهما بألفاظ أخرى.

والموضع الأول من الموضعين المذكورين في البيت رقم (٢٧٨) ص(٢٠):

.... لَـٰكِنِّي أَرَىٰ   أَن يُكْتَفَىٰ بِمَنْ حَكَىٰ التَّوَاتُرَا

فلفظ ((التواترا)) مؤسس، ولفظ ((أرىٰ)) ليس مؤسسًا.

والموضع الثاني في البيت رقم (٢٩٤).

وَعَدَّهُ الْحَافِظُ فِيمَا اشْتَهَرَا   وَعِندَ قَوْمٍ يَبْلُغُ التَّوَاتُرَا

فـ ((التَّوَاتُرَا)) مؤسس، و ((اشْتَهَرَا)) غير مؤسس.

وما دام أن ألِف التأسيس مفصولة عن حرف الرويّ بحرف فالأمر فيه يسير.

ومثل هـذا مما يضطر إليه الناظم، ولا خيار له في تركه، ولله دَرُّ إمام هـذه الصنعة الخليل بن أحمد رحمه الله تعالىٰ حين قال في ((العين)):

((والتَّأسيسُ في الشِّعْر ألِفٌ تلزم القافية و بينـها وبـين أَحْرُف الرَّوِيّ حرف

يجوز رفعه وكسره ونصبه نحو مَفاعِلن فلو جاء مثل «محمد» في قافية لم يكن فيه تأسيس حتىٰ يكون نحو «مجاهد» فالألف تأسيسُه».

إلىٰ أن قال: «وهو عيبٌ في الشّعر غير أنّه ربما اضطرَّ إليه، وأحسن ما يكون ذلك إذا كان الحرفُ الذي بعد الألف مفتوحًا؛ لأن فتحته تغلب علىٰ فتحة الألف، كأنها تُزال من الوهم كما قال العجاج:

مُبَارَكٌ لِلأَنْبِيَاءِ خَاتَمُ ... مُعَلِّمٌ آيَ الْهُدَىٰ مُعَلَّمُ

فلو قال «خاتِم» بكسر التاء لم يَحْسُنْ[1]».

والخَبْل والسِّناد وغيرهما من الضرورات التي يتعذر تجنبها في الشعر عامة، وفي النظم العلميّ علىٰ وجه الخصوص، وقد اعتذر شيخنا العلّامة المرابط محمد سالم عنهما وعن غيرهما من الضرورات السائغة عند صيارفة النظم فقال في مقدمة نظم العمدة المسمّىٰ بـ«الموثق» ص (٧٠) و(٧١).

مُعْتَذِرًا مِمَّا يَجُسُّ النُّبَهَا ... مِنَ الْبُرُودَةِ لِنَظْمِ الْفُقَهَا

لِمَا مِنَ التَّضْمِينِ فِي الْقَوَافِي ... يَحْوِي، وَمِن مُزْدَوِجِ الزِّحَافِ

وَمِن سِنَادٍ، وَتَدَاخُلٍ بِأَنْ ... يَلْزَ مِصْرَاعَيْنِ لَفْظٌ بِقَرَنْ

وَمِن دُخُولِ «أَلْ» عَلَىٰ مَا أُفْرِدَا ... لَفْظًا مِنَ الَّذِي يُضَافُ أَبَدَا

وَقَصْرٍ اَوْ نَقْلٍ، وَحَذْفِ حَرْفِ ... عَطْفٍ، وَصَرْفِ عَادِمٍ لِلصَّرْفِ

وَالْوَقْفِ مِن قَبْلِ التَّمَامِ «كَعَمَلْ ... بِرٍ يَزِينُ وَلْيُقَسْ مَا لَمْ يُقَلْ

(١) ص (٢٦).

والأرجوزة في مجملها من النظم السلس ، وقد أثنى عليها - والحمد لله تعالىٰ - طائفة من الشعراء وأهل البيان ، ولولا أن ذكر أسمائهم من دوافع حظ النفس لذكرتهم ، وحسبي تزكية شيخي وشيخ أشياخ البيان في زماننا الشيخ محمد سالم.

ولست هنا في مقام الفخر والزَّهْو - عياذاً بالله تعالىٰ - وإنما في مقام الامتنان ببعض ما أنعم الله به عليّ ، وإن ما أعلمه من نفسي من نقص وعِيّ لا يحملني على التفكير في الاعتداد بالنفس ، وحالي هو الإصرار على السير إلى الله تعالىٰ مع العُرْج والمكاسير ، وأنا أشدّهم ، وأسأله تعالىٰ أن يجبر الكسر ويستر العيب .

ولم تخل الأرجوزة من الطرفة والنكات المضحكة على تعلّق الشباب الشديد ببعض المآكل والمشارب والملابس ، وليس كل الشباب معنيين بهذه التوجيهات فهي موجهة لطلاب العلم خاصة .

ولم أتكلف الألفاظ التي وردت في الأرجوزة - والتي تبدو غريبة - فقد كانت تواتيني طوعًا - ولله الحمد - لأن هذه الألفاظ رسخت في الذاكرة أيام الصِّبا وهي الأيام التي كنت أُعنىٰ فيها بقراءة الشعر ، وحفظ ما استطعت حفظه منه .

ثانيًا : إن من أهم ما يميز هذه الأرجوزة أنني أدخلت في فصولها مقاطع من نظم السابقين ، مما وقفت عليه من بحر الرجز ، وحلّيتها به تحلية السيف بالجواهر وعدد هذه الأبيات (٩٥) بيتًا وشطران ، جمعتها من مصادر مختلفة بعضها عن طريق البحث ، وبعضها الآخر بواسطة السماع في مجالس أهل العلم .

وقد فرَّقْتُ هذه المقاطع الرجزية في مواضع عدة حسب مواضيعها المتنوعة . وأشهرها أرجوزة اللؤلئيّ ، فقد أوردتها مفرقة في خمسة مواضع ، وهناك مقاطع

أخرىٰ لعدد من الأعلام ، أثبت كل مقطع في موضعه المناسب، وهي : للهلاليّ والزبيديّ ، وابن مُتَالي، وشيخنا، ووالده محمد عليّ بن عبد الودود ، رحم الله الجميع ، وأمتعنا بشيخنا، وهناك أبيات وأشطر أوردتها ليست منسوبة إلىٰ قائليها .

وقد تناولتْ هـٰذه المقطوعات مسائل علمية مختلفة ، وآدابًا متنوعة ، ووصايا نافعة ، ولو لم يكن من قيمة لـهـٰذه الأرجوزة إلا اشتمالها علىٰ هـٰذه الفوائد المنظومة لكفاها ذٰلك نفعًا .

ومع هٰذا فقد اشتملت علىٰ طائفة كبيرة من الأحاديث والآثار ومناقب الأعلام وأخبارهم ووصاياهم ، وغير ذٰلك من الفوائد التي يحتاجها طالب العلم المبتدئ .

ثالثاً : ميَّزت الآيات التي اقتبستها في متن الأرجوزة باللّون الأخضر، وميّزت بـهـٰذا اللون أيضاً بعض العناوين و الكلمات والخطوط .

وأمّا الأحاديث التي اقتبستها في الأرجوزة ، والآثار التي أوردتها فيها فقد ميَّزتها باللون الأزرق ، فإذا كان الجزء الذي اقتبسته بالنص ، فإنني اضعه بين قوسين مزدوجين ، وإن كان بالمعنىٰ فإنني أكتفي بتلوينه باللّون الأزرق فقط .

وأمّا اللّون الأحمر فميَّزت به الأبيات المزيدة علىٰ الأرجوزة وبعض العناوين ، وعلامة النقل ، وهي رأس الصاد «صـ» وألف الإطلاق .

ومن الأمور التي أود التنبيه عليها وضع نُقط للربط بين مصراعي البيت المدمج والأبيات التي حصل فيها إدماج أو تداخل قليلة ، وهي في أربعة أبيات فقط .

وهذه الطبعة مطابقة للإصدار الصوتيّ سوىٰ سبعة أبيات وهي الأبيات ذات الأرقام التالية: البيت رقم (٣٦٧) ص (٢٥) و البيت رقم (٨٠٨) ص (٥٧) والأبيات

الخـمسة من (٩٦٨-٩٧٢) ص (٦٩).

هـٰذه الأبيات زدتها بعد صدور الإصدار المذكـور آنـفًا.

وهناك بيت تـم تـعديله، وهو البيت رقم (٦٦٥) لأنـني لم أجـد لكـلمة ((السفاسف)) تفسيرًا في معاجم اللغة المشهورة، فعدلت عنه إلىٰ لفظ ((السفساف)) وتـم تعديل المصراع االثاني من البيت (١٠٣٤) لورود السفاسف كذلك في آخره.

وتلبية لرغبة بعض أخواني في التعليق علىٰ هـٰذه الأرجـوزة كتبت تعليقات موجزة علىٰ بعض ما يحتاج إلىٰ بيان، وسيطبع قـريـبًا إن شاء الله تعالىٰ.

وقبل أن أضع القلم لابد من إظهار الامتنان بشكر الله تعالىٰ، فله الحمد أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وإليه يرجع الأمر كله، ومِن شُكْر الله تعالىٰ شُكْر أهل طاعته، والذين يستحقون الشكر مني كثير، وفي مقدمتهم شيخنا العلّامة المرابط الشيخ محمد سالم الذي أكـرمني بعطفه، وأفدت من علمه الغزير في هـٰذه السنوات الأخيرة، ومن فضائله عليّ وما أكـثرها سماعه لـ((أُرْجُـوزَةِ الْآدَابِ)) بـتمامها وما أفادني به من تصويبات مع كثرة أعبائه العلمية كما أسلفت، ثم توّجني بعد ذلك بتاج الفخار حين قرّظها بأبيات تأخذ بمجامع القلوب، أسأل الله أن يمتع الأمة به، ويبارك في حياته، ويضاعف انتفاع الطالبين بعلومه.

ولأخي فضيلة الشيخ محمد بن أحمد جدُّو خالص الشكر والدعاء علىٰ ملحوظاته القيمة، وعلىٰ قيامه بعرض هـٰذه الأرجوزة علىٰ شيخنا المرابط، شكر الله لهما.

والشكر موصول لناظر وصية المحسن الكـريم ناصر بن سليمان الصيقل: الأستاذ سليمان بن ناصر الصيقل علىٰ إسهامهم في طباعة هـٰذا المتن وغيره.

فلصاحبها والقائمين عليها جزيل الشكر والعرفان ، سائلاً المولىٰ تعالىٰ أن يجزل لهم المثوبة ويبارك لهم في أنفسهم وأموالهم ويجعل ما قدموه في موازين حسناتهم .

وللأخ المفضال والمحسن الكريم الأستاذ أبي ياسر : عبدالمجيد أبي عقيل خالص الشكر والدعاء علىٰ ماقدم لهٰذه السلسلة العلمية من خدمات جُلّىٰ ، وسعي كريم في دعمها ، أسأل الله أن يجزيه خير ما يجزى أخًا عن أخيه .

وشكر الله لكل من أعان علىٰ إنجاح هٰذه السلسلة العلمية داعيًا لهم جميعاً بالتوفيق والتسديد .

وأسال الله جلّت قدرته أن يمنّ علىٰ هٰذه البلاد بالحفظ ، ولقادتها وعلمائها وسائر الرعية بالتوفيق والسداد وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، إنه خير مسؤول وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ خير خلقه وعلىٰ آله وصحبه ، والحمد لله أولاً وآخرًا .

كان الفراغ من زبر هٰذا التقديم بُعَيد مغرب يوم الأحد الموافق للحادي والعشرين من شهر شوال من عام ١٤٢٧هـ في مدينة الرياض ، حرسها الله تعالىٰ .

وكتبه

الفقير إلىٰ عفو ربه

عبدالله بن محمد سفيان الحَكَميّ المذْحِجيّ

البريد الإلكتروني

MTOON@ISLAMWAY.NET

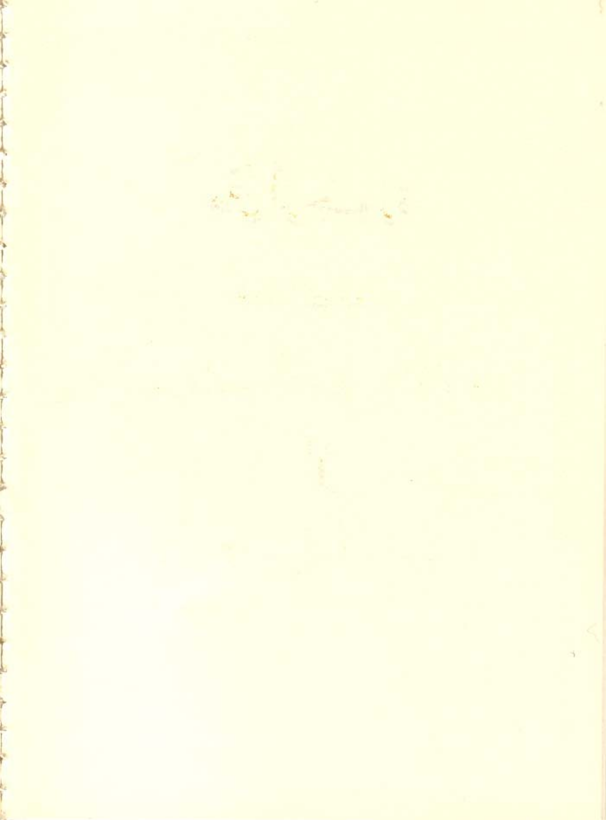
مَتْنُ أُرْجُوزَةِ

عُدَّةِ الطَّلَبِ

بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبِ

أَوْ

((أُرْجُوزَةُ الْآدَابِ))



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْفَقِيرُ إِلَىٰ عَفْوِ رَبِّهِ عَبْدُاللَّهِ بْنُ مُحَمَّد « سُفْيَانَ » الْحَكَمِيّ :

بِسْمِ السَّلَامِ الْوَاحِدِ الْمُهَيْمِنِ ... اَلْمُسْتَعَانِ ذِي الْجَلَالِ الْمُؤْمِنِ

أَحْمَدُهُ مُسَبِّحًا مُسْتَغْفِرَا ... مِن كُلِّ ذَنْبٍ تَائِبًا مُعْتَذِرَا

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا جَرَىٰ ... نَهْرٌ عَلَىٰ نَبِيِّنَا خَيْرِ الْوَرَىٰ

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ ... اَلْفَاتِحِينَ الْقَادَةِ الْأَخْيَارِ

وَبَعْدُ : فَالْعِلْمُ أَجَلُّ مَطْلَبِ ... بِهِ يَنَالُ الْمَرْءُ أَعْلَىٰ الرُّتَبِ

وَهَٰذِهِ أُرْجُوزَةٌ حَرَّرْتُهَا ... قَدْرَ اسْتِطَاعَتِي ، وَقَدْ رَصَّعْتُهَا

بِنُخَبٍ مِن كَلِمِ الْأَعْلَامِ ... نَظْمًا وَنَثْرًا بِالْمَحَلِّ السَّامِي

نَظَمْتُ فِيهَا الْمَنْهَجَ الْقَوِيمَا ... لِطَالِبِ الْعِلْمِ لِيَسْتَقِيمَا

مَسَارُنَا عَلَىٰ خُطَىٰ الْأَسْلَافِ ... فَاظْفَرْ بِهِ وَاحْذَرْ صَدَىٰ الْإِرْجَافِ

فَالْعِلْمُ لَا يُحْرَزُ بِالْأَلْقَابِ ... وَالنَّفْخِ بِالْإِطْرَاءِ وَالْإِعْجَابِ

كَلَّا وَلَا بِكَثْرَةِ التَّأْلِيفِ ... وَجُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّزْيِيفِ

وَلَيْسَ بِالدِّعَايَةِ الْمُزَخْرَفَهْ ... يَصْنَعُ عَالِمٌ ، وَذَا هُوَ السَّفَهْ

كَمْ خَدَعَ النَّاسَ بَرِيقُ الْأَغْلِفَهْ ... وَكَمْ كِتَابٍ حَقُّهُ أَن تُتْلِفَهْ

وَكُلُّ هَٰذَا مِنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ ... فَاجْتَنِبَنْ - بُنَيَّ - أَسْبَابَ الْعَطَبْ

وَإنَّ هَـٰذَا الـمَنْهَجَ اسْتَقْرَأْتُهُ ... مِن كُتُبِ الْعِلْمِ وَمِمَّا اخْتَرْتُهُ

مِن سِيَرِ الْأَئِمَّةِ الْكِبَارِ ... كَذَاكَ عَنْ أَشْيَاخِنَا الْأَخْيَارِ

ثُمَّ أَفَدتُ بَعْضَهُ بِالتَّجْرِبَهْ ... وَمَنْ أَرَادَ كُنْهَ شَيْءٍ جَرَّبَهْ

وَجُلُّ مَا أَوْرَدتُ مِنْ آدَابِ ... فَإِنَّهُ لَارَيْبَ مِن كِتَابِ

«تَذْكِرَة السَّامِعِ...» لِلْكِنَانِي ... عَلَيْهِ تَتْرَىٰ رَحْمَةُ الرَّحْمَـٰنِ

ثُمَّ أَضَفْتُ مِن سِوَاهُ دُرَرَا ... لِعِقْدِهَا ، وَلَسْتُ يَا ذَا مُنكِرَا

لَوَازِمَ النَّفْسِ الَّتِي لَا يَسْلَمُ ... مِنْهَا امْرُؤٌ فَنَقْصُنَا مُحَتَّمُ

وَمَا ادَّعَيْتُ أَنَّنِي وَفَّيْتُ ... مَا كُنْتُ أَبْغِيهِ وَلَا أَدَّيْتُ

لَـٰكِنَّهَا جِسْرٌ إِلَىٰ الْآدَابِ ... تَذْكِرَةٌ لِزُمَرِ الطُّلَّابِ

وَهَـٰذِهِ الْآدَابُ مِن جِنسِ الْعَمَلْ ... بِالْعِلْمِ ، طُوبَىٰ لِمَنِ الشَّرْعَ امْتَثَلْ

وَهْيَ عَوَاصِمٌ مِنَ الْقَوَاصِمِ ... كَالْعُجْبِ ، وَالْغُرُورِ ، وَالتَّعَالُمِ

وَالْقَدْحِ فِي النِّيَّاتِ وَالْأَفْهَامِ ... وَعَدَمِ التَّوْقِيرِ لِلْأَعْلَامِ

وَتِلْكُمُ الْآفَاتُ مَعْ سِوَاهَا ... إن شِئْتَ أَن تَعْرِفَ مُنتَهَاهَا

فَذَاكَ رَاجِعٌ إِلَىٰ إِهْمَالِ ... تَعْلِيمِ ذِي الْآدَابِ لِلْأَجْيَالِ

وَكَانَ أَخْذُ الْعِلْمِ عِندَ السَّلَفِ ... يُقْرَنُ بِالْإِصْلَاحِ لِلنَّفْسِ ، وَفِي

بَعْضِ الْأَحَايِينِ قُبَيْلَ الطَّلَبِ ... يُغْرَسُ فِي الطَّالِبِ حُبُّ الْأَدَبِ

لِذَاكَ سَمَّوْهُ بِـ«عِلْمِ التَّزْكِيَهْ» ... أَوْ «أَدَبِ السُّلُوكِ» وَهُوَ التَّرْبِيَهْ

عَلَىٰ اكْتِسَابِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ ... وَالسَّيْرِ فِي طَرِيقِهِ الْقَوِيمِ

وَعَلَّ مَا نَظَمْتُ مِنْ آدَابِ ... يُسْهِمُ فِي تَنْشِئَةِ الطُّلَّابِ

عَلَىٰ سُلُوكِ مَنْهَجِ الْأَسْلَافِ ... أَهْلِ التُّقَىٰ وَالْعِلْمِ وَالْإِنْصَافِ

سَمَّيْتُهَا - بُنَيَّ - «عُدَّةَ الطَّلَبْ ... بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبْ»

قِوَامُهَا بَابَانِ ثُمَّ خَاتِمَهْ ... أَحْسَنَ رَبِّي لِلْجَمِيعِ الْخَاتِمَهْ

وَكُلُّ بَابٍ مِنْهُمَا يَشْتَمِلُ ... عَلَىٰ فُصُولٍ خَمْسَةٍ تُفَصَّلُ

وَاللَّهُ يُحْظِينَا بِحُسْنِ الْفَهْمِ ... وَبِاجْتِنَاءِ ثَمَرَاتِ الْعِلْمِ

وَمَا بِهَا مِنَ الصَّوَابِ يُرْجَعُ ... إِلَى الَّذِي لَهُ الرِّقَابُ تَخْضَعُ

أَسْأَلُهُ الْإِخْلَاصَ فِي الْأَعْمَالِ ... لِوَجْهِهِ وَالصِّدْقَ فِي الْأَقْوَالِ

وَمَا حَوَتْ مِنْ خَطَإٍ فَإِنَّنِي ... أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَظِيمَ الْمِنَنِ

مِنْهُ ، وَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ ... وُقُوعُهُ حَتْماً بِلَا نُكْرَانِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ وَالرَّسُولَا ... مِنْهُ بَرِيئَانِ ، أَتَىٰ مَنْقُولَا

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ صَحِيحَ السَّنَدِ ... يَرْوِيهِ عَنْهُ مُسْنِدٌ عَنْ مُسْنِدِ

عَلَيْهِ رِضْوَانُ الْعَلِيِّ وَعَلَىٰ ... سَائِرِ صَحْبِ الْمُصْطَفَىٰ خَيْرِ الْمَلَا

وَمَنْ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَارَا ... وَاتَّخَذَ اتِّبَاعَهُمْ مَنَارَا

الْبَابُ الأَوَّلُ

فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَتَقْسِيمِ الْعُلُومِ، وَبَيَانِ أَهَمِّ أُسُسِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيّ وَأَنَّ الْحِفْظَ أَهَمُّ هَـٰذِهِ الْأُسُسِ، وَذِكْرِ أَهَمِّ شُرُوطِ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ

وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ

اَلْعِلْمُ خَيْرُ مِنْحَةٍ حَبَانَا ... بِهَا الَّذِي عَلَّمَنَا الْبَيَانَا

الْعِلْمُ نُورٌ سَاطِعٌ لَا يَنطَفِي ... بِهِ يَنَالُ الْمَرْءُ أَسْمَىٰ شَرَفِ

أَثْنَىٰ عَلَيْهِ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ... كَذَلِكُمْ أَثْنَىٰ عَلَىٰ طُلَّابِهِ

فِي آلِ عِمْرَانَ وَفِي الْأَنْعَامِ ... وَالْعَنكَبُوتِ دُونَمَا إِبْهَامِ ٥

وَالنَّحْلِ ثُمَّ فَاطِرٍ وَالزُّمَرِ ... وَغَيْرِهَا مِن مُحْكَمَاتِ السُّوَرِ

وَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِأَنْ ... يَقُولَ ﴿ زِدْنِي ﴾ فَهْوَ أَعْظَمُ الْمِنَنْ

وَكَمْ حَدِيثٍ نَاطِقٍ بِفَضْلِهِ ... وَفَضْلِهِمْ، قَدْ زَخَرَتْ بِنَقْلِهِ

كُتُبُ الْحَدِيثِ بِاتِّصَالِ السَّنَدِ ... عَن كُلِّ عَدْلٍ ثِقَةٍ مُسَدَّدِ

أَصَحُّهَا «مَن يُرِدِ اللَّهُ بِهِ ... خَيْرًا يُفَقِّهْهُ ...» فَسِرْ فِي دَرْبِهِ

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَتَىٰ يَا بَاغِيَهْ ... مُتَّفَقًا عَلَيْهِ عَنْ مُعَاوِيَهْ

وَصَحَّ فِي سِوَاهُمَا عَنْ حَبْرِ ... أُمَّتِنَا ، وَعَنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ

أَبِي هُـرَيْـرَةَ ، وَصَـحَّ السَّنَدُ إِلَـيْهِمَا ، يَـرْوِي الْجَمِيعُ أَحْـمَدُ
فَـصَارَ مَشْهُورًا عَنِ الْـمُعَـلِّمِ صَلَّىٰ عَلَـيْهِ اللَّهُ عَدَّ الْأَنجُـمِ
وَمَـثَـلُ الْـفَقِيهِ كَالْأَرْضِ الَّتِي قَـبِلَتِ الْمَا وَالَّتِي أَمْسَكَـتِ
خِيَارُكُـمْ فِي الجَاهِلِـيَّةِ هُمُ الْـ......خِيَارُ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ هَـٰذَا كَمُلْ
بِالْـفِقْهِ فِي الـدِّينِ وَالِاعْتِصَامِ بِشَرْعِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْـرَامِ
أَوَّلُ ذَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ وَرَدْ وَعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ الـثَّـانِي ، وَقَـدْ
رَوَاهُـمَا الشَّيْخَانِ عَنْـهُمَا ، وَمَا وَجَدتُ فِي الصِّحَابِ مَن رَوَاهُمَا
سِوَاهُـمَا عَنِ الـنَّبِيِّ الْمُصْطَـفَىٰ صَلَّىٰ عَلَـيْهِ اللَّهُ مَا نَبْتٌ عَفَـا
وَالْـعُـلَـمَـا وُرَّاثُ الْأَنْبِيَـاءِ كَـمَا أَتَـانَـا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ
فَـلَمْ يُـوَرِّثْ وَاحِـدٌ دِيـنَارَا أَوْ دِرْهَماً بَلْ وَرَّثُـوا مَا اخْـتَارَا
لَـهُـمْ تَـعَالَىٰ وَهْوَ عِلْمُ الشَّرْعِ آخِـذُهُ يَـحْظَىٰ بِـأَسْنَىٰ النَّـفْعِ
وَذَاكَ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَافِـرِ وَوَارِثٌ لِأَعْظَـمِ الْـمَفَـاخِـرِ
وَفِـيـهِ مَن سَلَكَ دَرْبًـا يَطْلُـبُ الْـعِلْـمَ فِيهِ فَـضْلُهُ لَايَـعْزُبُ
يُسَـهِّلُ اللَّهُ إِلَىٰ الْجِـنَـانِ طَـرِيـقَهُ بِالْـفَوْزِ وَالـرِّضْوَانِ
أَجْنِحَةُ الْمَلَائـِكِ الْكِـرَامِ لَهْ تُوضَعُ تَأْيِـيدًا لِـمَا قَـدْ فَعَلَـهْ
وَكُـلُّ مَخْلُـوقٍ لَـهُ يَسْتَـغْفِرُ وَأَجْـرُهُ عِندَ الرَّحِـيمِ أَكْـبَـرُ

وَفِيهِ جَا : وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ ... حَقًّا عَلَى الْعَابِدِ ذِي الْمَكَارِمِ

كَمِثْلِ فَضْلِ الْقَمَرِ الْمُكْتَمِلِ ... عَلَى الْكَوَاكِبِ ، فَبِالْعِلْمِ اعْمَلِ

وَفِي أَبِي دَاوُدَ جَاءَ مُسْنَدَا ... وَكَمْ إِمَامٍ طُرْقَهُ قَدْ أَوْرَدَا

صَحَّحَهُ بَعْضٌ وَبَعْضٌ حَسَّنَا ... بِمَا لَهُ مِن طُرُقٍ فَأَحْسَنَا

وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ : كَفَضْلِي ... عَلَى الْأَقَلِّ مِنكُمُ فِي الْفَضْلِ

حَيْثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنَ أَبِي ... أُمَامَةَ الْقَيْسِيِّ صَاحِبِ النَّبِي

عَلَى جَمِيعِ الصَّحْبِ رِضْوَانُ الصَّمَدْ ... مَا ذَكَرَ الرَّحْمَنَ عَبْدٌ وَسَجَدْ

وَجَاءَ فِيهِ حُكْمُهُ الصَّرِيحُ ... إِذْ قَالَ عَنْهُ : حَسَنٌ صَحِيحُ

بَعْدَهُمَا جَاءَ «غَرِيبٌ» وَهُوَ فِي ... جَامِعِهِ الْفَذِّ قَلِيلٌ فَاعْرِفِ

وَ«طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ» وَرَدْ ... عَنْ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَقَدْ

أَفْرَدَهُ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ فِي ... جُزْءٍ لَهُ بِجُلِّ طُرْقِهِ يَفِي

ضَعَّفَهُ بَعْضٌ وَبَعْضٌ صَحَّحَا ... وَبَعْضُهُمْ حَسَّنَهُ وَأَوْضَحَا

بُطْلَانَ قَوْلِ بَعْضِهِمْ «وَمُسْلِمَهْ» ... إِذْ لَمْ يَكُن مِنَ الْحَدِيثِ فَاعْلَمَهْ

وَآخَرُونَ صَحَّحُوا مَعْنَاهُ ... وَضَعَّفُوا فِي كُتْبِهِمْ مَبْنَاهُ

وَالْحَقُّ أَنَّهُ بِرُتْبَةِ الْحَسَنْ ... لِغَيْرِهِ أَلْيَقُ فِي الرَّأْيِ الْحَسَنْ

عَنِ الْإِمَامَيْنِ : أَبِي الْحَجَّاجِ ... وَالذَّهَبِيِّ الْفَذِّ ذِي الْحِجَاجِ

{وَالْعِلْمُ خَيْرٌ مِن صَلَاةِ النَّافِلَهْ ... فَقَدْ غَذَا اللهُ بِرِزْقٍ كَافِلَهْ}

عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ قَدْ وَرَدْ ... وَالْحَافِظُ الْجَلَالُ ذَا الْقَوْلَ عَقَدْ

فِي «الْكَوْكَبِ السَّاطِعِ» فِي الْخِتَامِ ... بَعْدَ كَلَامِهِ عَنِ الْأَعْلَامِ

وَجَاءَ فِي مِصْرَاعِهِ الثَّانِي خَبَرْ ... لَمْ يَكُ فِي إِسْنَادِهِ بِالْمُعْتَبَرْ

وَهَذِهِ الْآثَارُ فِي الْعِلْمِ وَفِي ... أَرْبَابِهِ كَافِيَةٌ فَأَكْتَفِي

بِهَا ، إِذِ الْمَقْصُودُ الِاسْتِشْهَادُ ... وَالْحَصْرُ - لَوْ أَمْكَنَ - لَا يُرَادُ

وَمَا بِرَابِعِ الْفُصُولِ أُورِدُ ... مِنَ الْأَحَادِيثِ بِهِ أَسْتَشْهِدُ

كَأَمْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْحِفْظِ يَصِحّْ ... بِهَا هُنَا اسْتِشْهَادُنَا فَلْيَتَّضِحْ

بِذَاكَ أَنَّ الْحِفْظَ أُسُّ الْعِلْمِ ... وَهْوَ طَرِيقُ فِقْهِنَا وَالْفَهْمِ

فَاشْرُفْ بِالِاشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ وَلَا ... تَبْغِ بِهِ مَا عِشْتَ - يَا ذَا - بَدَلَا

وَيَا لَهُ مِنْ شَرَفٍ عَظِيمِ ... يَعْلُو عَلَى مَرْتَبَةِ السَّدِيمِ

وَالْفَرْقُ بَيْنَ عَالِمٍ وَجَاهِلِ ... كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْبُومِ وَالْبَلَابِلِ

وَالْبَوْنُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ كَمَا ... قَالَ الْهِلَالِيُّ مَقَالاً مُحْكَمَا

{الْعِلْمُ نُورٌ وَالْجَهَالَةُ حَلَكْ ... وَمَن سَرَى فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ هَلَكْ}

وَذَكَرَ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّهْ ... فِي سِفْرِهِ «الْمِفْتَاحِ» ذِي الْمَزِيَّهْ

مِنَ الْوُجُوهِ مَا يَسُرُّ النَّقَلَهْ ... فِي فَضْلِهِ وَفَضْلِ مَن قَدْ حَمَلَهْ

مَحْصُورَةً فِي مِائَةٍ مِن بَعْدِ ... خَمْسِينَ مَعْ ثَلَاثَةٍ فِي الْعَدِّ

مَطْلَبٌ

فِي ثَمَرَاتِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الْمُسْتَمَدِّ مِنَ الْوَحْيَيْنِ

وَثَمَرَاتُ الْعِلْمِ لَيْسَتْ تَنْحَصِرْ ... مَن ذَا الَّذِي يُحْصِي الْغَمَامَ الْمُنْهَمِرْ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ يَشْرُفُ ... إِلَّا بِكَسْبِ الْعِلْمِ فَهْوَ الشَّرَفُ

وَيَبْلُغُ الْمَنَازِلَ الْعُلْيَا بِهِ ... وَبَعْدَ ذَٰلِكَ الرِّضَا مِن رَبِّهِ

إِذَا اسْتَنَارَ الْقَلْبُ بِالْعِلْمِ انشَرَحْ ... وَنَالَ مِنْ آثَارِهِ شَتَّى الْمِنَحْ

وَانقَادَ لِلْخَيْرَاتِ سَائِرُ الْبَدَنْ ... وَاشْتَاقَتِ النَّفْسُ إِلَى الفِعْلِ الْحَسَنْ

فَهْوَ دَوَاءُ كُلِّ قَلْبٍ مُذْنِبِ ... بِهِ النَّجَاةُ مِن حُصُولِ التَّلَفِ

وَأَنَّهُ الْعَاصِمُ لِلْأَجْيَالِ ... مِن طُرُقِ الْغُلُوِّ وَالضَّلَالِ

وَهْوَ الَّذِي يُنِيرُ دَرْبَ الْأُمَّهْ ... عِندَ حُلُولِ الْفِتَنِ الْمُلِمَّهْ

لِذَاكَ كَانَ أَفْضَلَ الْفَضَائِلِ ... لَا يَمْتَرِي بِذَاكَ أَيُّ عَاقِلِ

وَمَصْدَرُ الْعِلْمِ كِتَابُ اللَّهِ ... وَسُنَّةُ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّاهِ

صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَارِي ... مَا سَبَّحَ النُّسَّاكُ فِي الْأَسْحَارِ

وَالْفِقْهُ فِيهِمَا هُوَ السَّبِيلُ ... إِلَى حَيَاةِ الرُّشْدِ، وَالدَّلِيلُ

إِلَى رِضَا الرَّحْمٰنِ إِنْ هُوَ اقْتَرَنْ ... بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ذِي الْقَصْدِ الْحَسَنْ

مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَا ... مِن فِقْهِنَا فِي الدِّينِ فَاطْلُبْهُ، وَلَا

يَصْرِفُكَ عَنْهُ أيُّ جَـاهٍ أَوْ نَشَبْ ... لَاسِيَّمَا إِن كُنتَ فِي عَهْدِ الطَّلَبْ

وَلِلْـهِلَالِيِّ كَـلَامٌ يَحْسُنُ ... إِيـرَادُهُ ، وَهْوَ إِمَامٌ مُـتْقِـنُ

{ وَالعِلْمُ مَا أَكْسَبَ خَوْفَ اللَّـهِ ... فَـمَنْ خَـلَا مِنْهُ فَـفِـدْمٌ لَاهِي

لِأَنَّـهُ مِـيـرَاثُ الْأَنبِيَاءِ ... فَـلَمْ يَـنَلْهُ غَيْـرُ الْأَتْـقِيَاءِ

لِذَاكَ قِيلَ الْعِلْمُ يَدْعُو الْـعَمَلَا ... إِن يُلْـفِهِ قَـرَّ وَإِلَّا ارْتَـحَلَا

دَلِيلُ ذَاكَ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ﴾ إِلَى ... ﴿ الْـعُلَمَاءُ ﴾ لَـدَلِـيـلٌ انـجَلَى

فَاعْمَلْ بِمَا عَلِمْتَ تُورَثْ عِلْمَ مَا ... لَـمْ تَكُ تَـعْلَمُ وَتُـمْنَـحْ مَغْنَمَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَـدَرَ الـذُّنُـوبِ ... يَكْسِفُ نُورَ الْعِلْمِ فِي الْـقُلُـوبِ

أَمَا تَـرَى الـذُّبَالَ فِي الْـمِصْبَاحِ ... إِذَا صَفَا أَرْضَاكَ فِي اسْتِصْبَاحِ

وَإِن يَكُـن بِـوَسَـخٍ مُـلَطَّخَا ... كَـسَـفَ نُـورُهُ لِذَلِكَ الطَّخَا

وَاحْـذَرْ عَلَى الـنُّورِ الَّذِي وُهِبْتَا ... وَإِن تُـضِـعْ نُورَ الْإِلَـٰهِ خِـبْتَا

وَزَيِّـنِ الْعِلْمَ بِـزِيـنَـةِ الْـوَرَعْ ... وَاقْنَعْ فَخِدْنُ الْحِرْصِ فِي الذُّلِّ كَرَعْ

إِنَّ الْـقَنَاعَـةَ أَعَـزُّ مِلْكِ ... وَحِـرْفَـةُ الطَّمَعِ شَـرُّ هُلْكِ

وَاطْلُـبْ شِفَاءَ قَلْبِكَ الْمَرِيـضِ ... مِن قَـبْلِ أَن تَـغَصَّ بِالْجَرِيـضِ

وَلَا تَـظُنَّ الْـبُـرْءَ مِنْ أَدْوَاكَـا ... إِلَّا بِفَطْمِ النَّـفْسِ عَنْ هَوَاكَـا }

وَقَـالَ فِي تَـرْبِيَـةِ الْـجَوَارِحِ ... مَا عَـزَّ أَن يُنسَجَ بِالْـقَرَائِحِ

{وَاحْتَلْ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِالتَّدْرِيجِ فَإِنَّهُ أَذْهَبُ لِلتَّحْرِيجِ
وَخَالِفَنَّهَا وَلَاتُطِعْهَا وَازْعَ الْوَدَائِعَ وَلَا تُضِعْهَا
وَهْيَ الْجَوَارِحُ الَّتِي يُكْتَسَبُ اَلْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا وَيُجْلَبُ
وَهْيَ : لِسَانٌ ، ثُمَّ فَرْجٌ ، بَطْنُ يَدٌ ، وَرِجْلٌ ، ثُمَّ عَيْنٌ ، أُذُنُ
سَبْعٌ كَأَبْوَابِ الْجَحِيمِ فِي الْعَدَدْ فَازْعَ جَمِيعَهَا وَأَلْزِمْهَا السَّدَدْ
فَإِنَّهَا مَسْؤُولَةٌ فِي الْآجِلِ شَاهِدَةٌ بِمَا جَنَتْ فِي الْعَاجِلِ
فَمَنْ عَصَىٰ بِوَاحِدٍ مِنْهَا فَقَدْ فَتَحَ بَابًا مِن جَحِيمٍ قَدْ وَقَدْ
وَأَصْلُهَا الْقَلْبُ فَعَالِجْ دَاءَهُ وَاخْشَ بِمَرْهَمِ التُّقَىٰ سَوْدَاءَهُ
صَلَاحُهُ صَلَاحُهَا لِمَن نَظَرْ وَالضِّدُّ بِالضِّدِّ كَمَا جَا فِي الْخَبَرْ
وَأَصْلُ دَاءِ الْقَلْبِ حُبُّ الْعَاجِلَةْ فَانبِذْهُ وَاحتَفِلْ لِأَمْرِ الْآجِلَةْ}

الـفَـصْلُ الثَّـانِي

فِي تَـقْسِيمِ العُلُومِ إلَىٰ عُلُومِ المَقَاصِدِ وَعُلُومِ الْوَسَائِلِ

مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ التَّقْسِيمَاتِ الدَّاخِلَةِ فِي هَـٰذَا التَّقْسِيمِ، وَبَيَانِ مَا يَنبَغِي أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ طَالِبُ العِلْمِ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي سَائِرِ العُلُومِ.

إنَّ الْعُلُومَ تَعْجِزُ الْأَلْبَابُ عَنْ ... تَعْدَادِهَا وَحَصْرِهَا مَدَىٰ الزَّمَنْ

يَجْمَعُهَا قِسْمَانِ يَشْمَلَانِ ... شَتَّىٰ الْعُلُومِ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

أَوَّلُ ذَيْنِ بِالْمَقَاصِدِ اشْتَهَرْ ... وَهْيَ عُلُومُ شَرْعِنَا الزَّاكِي الْأَغَرّْ

كَعِلْمِ تَوْحِيدِ الْمُهَيْمِنِ الْعَلِي ... وَعِلْمِ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمُنزَلِ (١٥٠)

وَالسُّنَنِ الصِّحَاحِ وَالْآثَارِ ... وَالْفِقْهِ، ثُمَّ سِيرَةِ الْمُخْتَارِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا الْغَيْثُ انْهَمَرْ ... وَرَدَّدَ التَّالُونَ آيَاتِ السُّوَرْ

وَالثَّانِ: مَا كَانَ وَسِيلَةً إلَىٰ ... عُلُومِ شَرْعِ ذِي الْجَلَالِ وَالْعُلَىٰ

يُسْمَىٰ اصْطِلَاحاً بِعُلُومِ الْآلَهْ ... بِهَا انكِشَافُ حُجُبِ الْجَهَالَهْ

وَجُلُّهَا عَلَىٰ اللِّسَانِ الْعَرَبِي ... مُعْتَمِدٌ ثُمَّ فُنُونِ الْأَدَبِ

فِي ثَالِثِ الْفُصُولِ يَأْتِي ذِكْرُ مَا ... يُهِمُّ مِنْهَا عِندَ كُلِّ الْعُلَمَا

وَابْنُ جُزَيٍّ جَعَلَ الْعُلُومَ فِي ... «تَقْرِيبِهِ» ثَلَاثَةً فَلْتَعْرِفِ

مُرَادَهُ إذْ قَدَّمَ الْعَقْلِيَّا ... فِي الذِّكْرِ ثُمَّ أَوْرَدَ النَّقْلِيَّا

فَالنَّقْلُ لَا يُفْهَمُ دُونَ الِابْتِدَا بِآلَةٍ لِفَهْمِهِ فَأَفْرَدَا
عِلْمَ أُصُولِ الْفِقْهِ بِالذِّكْرِ لِمَا حَوَىٰ مِنَ النَّقْلِ وَمَعْقُولٍ سَمَا
بِهِ يَكُونُ ثَالِثَ الْأَقْسَامِ مِن بَعْدِ ذَيْنِ عِندَ ذَا الْإِمَامِ
لِأَنَّ هَـٰذَا الْعِلْمَ فِيهِ يُمْزَجُ الْعَقْلُ بِالنَّقْلِ، وَمِنْهُ يُولَجُ
بِالنَّظَرِ الثَّاقِبِ فِي الدَّلِيلِ كَذَاكَ فِي الْمَدْلُولِ بِالتَّعْلِيلِ
وَقَدْ أَتَىٰ فِي «اللُّؤْلُؤِ النَّظِيمِ» لِـ«زَكَرِيَّا» النَّاقِدِ الْعَلِيمِ
بِأَنَّهَا أَرْبَعَةٌ: شَرْعِيَّهْ وَأَدَبِيَّةٌ كَذَا عَقْلِيَّهْ
ثُمَّ الرِّيَاضِيَّةُ، وَالْجَمِيعُ قَدْ حَوَىٰ مِنَ الْأَنْوَاعِ مَا بِهِ انفَرَدْ
وَنَظْمُهَا يَطُولُ فَانظُرْ عَدَّهَا فِيهِ فَقَدْ عَدَّدَهَا وَحَدَّهَا
وَ«الذَّهَبِيُّ» قَسَّمَ الْعِلْمَ إِلَىٰ خَمْسَةِ أَقْسَامٍ كَمَا قَدْ أَجْمَلَا
ذَٰلِكَ فِي رِسَالَةِ «الْمَسَائِلِ» بَدْءًا، مَعَ التَّفْصِيلِ بِالدَّلَائِلِ
فَمِنْهُ فَرْضٌ لَا يَكُونُ مُسْلِمَا عَبْدٌ بِدُونِهِ كَمَا قَدْ عُلِمَا
مِثْلُ الشَّهَادَتَيْنِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ
يَعْلَمُهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَفْصِيلِ مُسْتَيْقِناً بِهَا بِلَا تَعْلِيلِ
كَذَٰلِكَ التَّصْدِيقُ بِالَّذِي أَتَىٰ بِهِ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَىٰ، وَثَبَتَا
عَنْهُ، عَلَيْهِ بَارِئُ الْأَكْوَانِ صَلَّىٰ وَسَلَّمَ مَدَى الْأَزْمَانِ

١٦٠

١٧٠

وَإِنَّ مِن فَرَائِضِ الْكِفَايَهْ ... حِفْظَ كِتَابِ اللهِ وَالدِّرَايَهْ
بِأُسُسِ الشَّرْعِ عَلَى التَّفْصِيلِ ... وَطُرُقِ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ
وَمِنْهُ مَا اسْتُحِبَّ كَالْإِمْعَانِ فِي ... شَتَّى عُلُومِ شَرْعِنَا الْمُشَرَّفِ
وَكُلُّ مَا لِذِي الْعُلُومِ مِن صِلَهْ ... مِنْ آلَةٍ وَمِنْ عُلُومٍ مُكْمِلَهْ
وَمِنْهُ مَا أُبِيحَ كَالْأَخْبَارِ ... وَسِيَرِ الْوُلَاةِ فِي الْأَقْطَارِ
وَمِنْهُ مَا يُكْرَهُ كَالْعِنَايَهْ ... بِجَمْعِ شِعْرِ زُمَرِ الْغُوَايَهْ ١٨٠
وَإِنَّ صَرْفَ الْوَقْتِ فِي التَّنقِيبِ عَنْ ... أَشْعَارِهِمْ هُوَ الْفُضُولُ وَالْغَبَنْ
إِلَّا إِذَا كَانَ لِكَشْفِ الْبَاطِلِ ... فَإِنَّهُ ذَبٌّ عَنِ الْفَضَائِلِ
وَحِفْظُهُ مِن دُونِ تَنْبِيهٍ عَلَى ... مَا يَخْدِشُ الْآدَابَ مِمَّا حُظِلَا
وَمِنْهُ مَا يَحْرُمُ كَالسِّحْرِ وَمَا ... يُوقِعُ فِي الزَّيْغِ إِذَا مَا عُلِمَا
وَمَا مَضَى مِنْ أَضْرُبِ التَّقْسِيمِ ... عَنِ الْإِمَامَيْنِ لِذِي الْعُلُومِ
مُشْتَمِلٌ عَلَى الْعُلُومِ كُلِّهَا ... نَقْلًا وَعَقْلًا دِقِّهَا وَجِلِّهَا
وَكُلُّ تَقْسِيمٍ صَحِيحٌ إِن نُظِرْ ... إِلَيْهِ مِن كُلِّ النَّوَاحِي، فَانتَصِرْ
لِكُلِّ وَاحِدٍ، وَلَا تَعَارُضَا ... بَيْنَهُمُ كَلَّا وَلَا تَنَاقُضَا
فَكُلُّ وَاحِدٍ لَهُ مُرَادُ ... وَكُلُّهُمْ عَلَى الْهُدَى وُرَّادُ
عَلَيْهِمُ رَحْمَةُ ذِي الْجَلَالِ مَا ... وَدْقٌ هَمَى وَمَا الْهَزَارُ رَنَّمَا ١٩٠

وَ «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ» بُنَيَّ فَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِي تَحْصِيلِهِ وَ لْتَحْتَفِلْ

بِحِفْظِكَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الطَّلَبِ فَهُوَ عِمَادُ الشَّرَفِ الْمُرْتَقَبِ

وَلْيَقْتَرِنْ حِفْظُكَ بِالتَّجْوِيدِ رِوَايَةً عَن قَارِئٍ مُجِيدِ

وَلْتَسْتَجِزْهُ كَيْ تُجِيزَ غَيْرَكَا فَارْفَعْ بِإِسْنَادِ الْعُلُومِ قَدْرَكَا

وَثَبِّتَنْ حِفْظَكَ بِالْمُرَاجَعَهْ فَإِن نَسِيتَهُ فَتِلْكَ الْفَاجِعَهْ

وَلْيَحْسُنِ الشُّرُوعُ فِي الْحَدِيثِ مِن بَعْدِ حِفْظِ أَحْسَنِ الْحَدِيثِ

وَهَكَذَا اشْرَعْ فِي الْعُلُومِ سَالِكَا مَسَالِكَ الْأَسْلَافِ حَتَّىٰ تُدْرِكَا

مِنْهَاجَهُمْ فَالْخَيْرُ فِي اتِّبَاعِهِمْ فَكُنْ ـ رُزِقْتَ الْفِقْهَ ـ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي بَيَانِ أَهَمِّ أُسُسِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ

إِذَا شَرَعْتَ يَا بُنَيَّ فِي الطَّلَبْ ... فَلْتَسْأَلِ الرَّحْمَـٰنَ تَيْسِيرَ الْأَرَبْ

وَاطْلُبْهُ طِبْقَ الْمَنْهَجِ الْأَصِيلِ ... مُعْتَنِياً بِأُسُسِ التَّحْصِيلِ

هَـٰذَا الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ ... فِي سَائِرِ الْعُصُورِ يَا ذَا الْفَهْمِ

وَهَـٰذِهِ الْأُسُسُ سِتَّةَ عَشَرْ ... جَمَعْتُهَا عَلَىٰ مَدَارِ اثْنَيْ عَشَرْ

عَامًا ، وَلَسْتُ دَائِمَ التَّفْكِيرِ ... فِيهَا وَلَـٰكِنْ حَسَبَ التَّنْقِيرِ

فِي الْكُتُبِ ، وَالْحِوَارِ ، مَعْ سُؤَالِ ... أَشْيَاخِنَا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

أَوَّلُهَا الْأَخْذُ عَنِ الشُّيُوخِ ... أَهْلِ التُّقَىٰ وَالسَّمْتِ وَالرُّسُوخِ

وَسَائِرُ الْأُسُسِ تَأْتِي تَابِعَهْ ... أَهَمُّهَا : حَصْرُ الْمُتُونِ النَّافِعَهْ

بِنَسْخِ مَالَمْ تُلْفِهِ مَطْبُوعَا ... مِن قَبْلِ أَن تَرْوِيَهُ مَسْمُوعَا

وَالضَّبْطُ ، ثُمَّ الْحِفْظُ ، فَالسَّمَاعُ ... بِذَلِكُمْ يَحْصُلُ الانْتِفَاعُ

فَهَـٰذِهِ أَرْبَعَةٌ بِالْأَوَّلِ ... رِبَاطُهَا فَاحْذَرْ رِبَاطَ الْكَسَلِ

وَاحْرِصْ عَلَىٰ الْمَنظُومِ فَهْوَ أَسْهَلُ ... لِلْحِفْظِ مِن نَثْرٍ، وَمِنْهُ أَجْمَلُ

وَهْوَ لِطُلَّابِ الْعُلُومِ أَنفَعُ ... وَلِلْفَوَائِدِ الْحِسَانِ أَجْمَعُ

مِنْ أَجْلِ هَـٰذَا عَوَّلَ الْأَعْلَامُ ... عَلَيْهِ ، وَانبَرَتْ لَهُ الْأَقْلَامُ

وَالسَّادِسُ التَّقْدِيمُ لِلْوَسَائِلِ فَإِنَّهَا الْمِعْرَاجُ لِلْفَضَائِلِ

فَابْدَأْ بِعِلْمِ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْـ . . . . .أَصْلَيْنِ وَالْفَصِيحِ تُحْرِزِ الْأَمَلْ

مَعَ الْبَلَاغَةِ وَأَنْوَاعِ الْأَدَبْ لَاسِيَّمَا الْمُخْتَارُ مِن شِعْرِ الْعَرَبْ

وَخُضْ عُلُومَ الشَّرْعِ بَعْدَ ذَلِكَا يُذَلِّلِ اللهُ لَكَ الْمَسَالِكَا

وَالسَّابِعُ الْمَبَادِئُ الْعَشْرِيَهْ لِكُلِّ عِلْمٍ يَنفَعُ الْبَرِيَّهْ

وَهْيَ اسْمُهُ، وَحَدُّهُ، وَنِسْبَتُهْ مَوْضُوعُهُ ، وَاضِعُهُ ، ثَمَرَتُهْ

كَذَلِكَ اسْتِمْدَادُهُ ، فَضَائِلُهْ وَحُكْمُهُ، خِتَامُهَا مَسَائِلُهْ

وَبَعْضُهُمْ بِبَعْضِهَا قَدِ اكْتَفَىٰ فَادْرِ الْجَمِيعَ إِنْ أَرَدتَ الشَّرَفَا

وَالثَّامِنُ الشُّرُوعُ فِي الشُّرُوحِ فَإِنَّهَا الْمِرْقَاةُ لِلطُّمُوحِ

وَالشَّرْحُ يُؤْخَذُ عَنِ الشَّيْخِ كَمَا فِي الْأُسُسِ الْخَمْسَةِ الْأُولَىٰ فَافْهَمَا

فَالشَّيْخُ مِحْوَرٌ لِكُلِّ الْأُسُسِ فَاخْتَرْ مِنَ الشُّيُوخِ كُلَّ كَيِّسِ

لِكَوْنِ ذِي الْأُسُسِ لَا تَحَقَّقُ مِن دُونِهِمْ فَهُمْ إِلَيْهَا أَسْبَقُ

وَالتَّاسِعُ التَّدْوِينُ لِلْفَوَائِدِ كَذَلِكَ التَّقْيِيدُ لِلشَّوَارِدِ

فَدَوِّنَنْ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتَا ثُمَّ احْفَظَنْ أَحْسَنَ مَا كَتَبْتَا

وَحَدِّثَنْ بِأَحْسَنِ الْمَحْفُوظِ لَدَيْكَ ، تِلْكَ قَوْلَةُ الْمَحْظُوظِ

أَعْنِي الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ ذَا اللَّسَنْ وَالْمَحْتِدِ الْكَرِيمِ وَالرَّأْيِ الْحَسَنْ

وَالْعَاشِرُ التَّكْرَارُ وَالْمُرَاجَعَهْ ... لِلْحِفْظِ وَالشَّرْحِ مَعَ الْمُتَابَعَهْ

وَقَدِّمِ الْأَهَمَّ وَهْوَ الْحَادِي ... فَالْعِلْمُ جَمٌّ يَا أَخَا الْأَمْجَادِ ٢٣٠

يَتْلُوهُ وَهْوَ حَتْمٌ التَّدَرُّجُ ... مَنْ حَادَ عَنْهُ لِلْعُلَىٰ لَا يَعْرُجُ

فَابْدَأْ بِمَتْنٍ جَامِعٍ مُخْتَصَرِ ... فِي كُلِّ عِلْمٍ وَانْتَقِلْ لِآخَرِ

يَكُونُ مِنْهُ فِي الْبَيَانِ أَشْمَلَا ... ثُمَّ اقْتَحِمْ مِنْ بَعْدِهِ الْمُطَوَّلَا

وَهَاكَ مِنْ «أَلْفِيَّةِ السَّنَدِ» مَا ... شَيْخُ زَبِيدٍ قَالَهُ فَأَحْكَمَا

{ فَإِنَّ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ تَخْتَلِطْ ... وَبَعْضُهَا بِشَرْطِ بَعْضٍ مُرْتَبِطْ

فَمَا حَوَى الْغَايَاتِ فِي أَلْفِ سَنَهْ ... شَخْصٌ فَخُذْ مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَحْسَنَهْ

بِحِفْظِ مَتْنٍ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ ... تَحْلُهُ عَلَىٰ مُفِيدٍ نَاصِحِ

ثُمَّ مَعَ الْفُرْصَةِ فَابْحَثْ عَنْهُ ... حَقِّقْ وَدَقِّقْ وَاسْتَمِدَّ مِنْهُ

لَٰكِنَّ ذَاكَ بِاخْتِلَافِ الْفَهْمِ ... مُخْتَلِفٌ وَبِاخْتِلَافِ الْعِلْمِ

فَالْمُبْتَدِي وَالْفَدْمُ لَا يُطِيقُ ... بَحْثًا بِعِلْمٍ وَجْهُهُ دَقِيقُ ٢٤٠

وَمَنْ يَكُنْ فِي فَهْمِهِ بَلَادَهْ ... فَلْيَصْرِفِ الْوَقْتَ إِلَى الْعِبَادَهْ

أَوْ غَيْرِهَا مِنْ كُلِّ ذِي ثَوَابِ ... وَلَوْ بِحُسْنِ الْقَصْدِ فِي الْأَسْبَابِ}

وَإِنَّ مَنْ عَلَىٰ صِغَارِ الْعِلْمِ ... قَبْلَ كِبَارِهِ بِحُسْنِ الْفَهْمِ

رَبَّى التَّلَامِيذَ هُوَ الرَّبَّانِي ... ذُو الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ

وَفِي كِتَابِ الْعِلْمِ فِي الْبُخَارِي ... عُلِّقَ، وَالْمَعْنَى بِـ« فَتْحِ الْبَارِي »

وَثَالِثٌ مِن بَعْدِ عَشْرَةٍ أَتَىٰ　　حُسْنُ سُؤَالٍ وَاسْتِمَاعٍ يَا فَتَىٰ

هُمَا الْجَنَاحَانِ لِكَسْبِ الْعِلْمِ　　وَبِهِمَا فَاصْعَدْ سَمَاءَ الْفَهْمِ

وَاطْلُبْهُ مَقْرُوناً بِخَالِصِ الْعَمَلْ　　لِلهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ جَلْ

فَذَا الْأَسَاسُ رَابِعٌ مِن بَعْدِ　　عَشْرَةٍ : خَامِسُهَا فِي الْقَصْدِ

أَن نَتَحَلَّىٰ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ　　بِأَكْرَمِ الْخِصَالِ وَالْآدَابِ ٢٥٠

وَحَسْبُنَا مَا قَالَ فِي «النَّصِيحَهْ»　　حَمَّادٌ الْمِقْوَلُ ذُو الْقَرِيحَهْ

مُسْتَنْبِطاً مِن قِصَّةِ الْكَلِيمِ　　وَالْخَضِرِ الْمُحَدَّثِ الْعَلِيمِ

سَبْعَةَ آدَابٍ، وَفِي بَيْتٍ لَهُ　　دَوَّنَهَا فَاحْفَظْهُ مَا أَجْمَلَهُ

{لَمْ تَغَرَّبْ، وَتَوَاضَعْ، وَاتَّرِعْ　　وَجُعْ، وَهُنْ، وَاعْصِ هَوَاكَ، وَاتَّبِعْ}

وَهَذِهِ وَغَيْرُهَا سَتُذْكَرُ　　فِي بَابِهَا، وَعَدُّهَا لَا يُحْصَرُ

أَفْرَدتُهَا لِمَا لَهَا مِن شَانِ　　فَهْيَ لَهُ كَالسُّورِ لِلْبُنْيَانِ

وَسَادِسٌ مِن بَعْدِ عَشْرَةٍ فَعِ　　تَثْبِيتُهُ بِنَشْرِهِ فِي الْأَرْبَعِ

بِالدَّرْسِ وَالتَّصْنِيفِ وَالْإِفْتَاءِ　　وَذَا لِمَنْ أَضْحَىٰ مِنَ الْأَكْفَاءِ

وَأَخْذُنَا الْعِلْمَ لَهُ مَرَاتِبُ　　خَمْسٌ رَوَاهَا سَابِقٌ وَعَاقِبُ

عَنِ ابْنِ مُتَّالِي الْمُحَقِّقِ الْعَلَمْ　　فِي نَظْمِهِ الْمَشْهُورِ فَاحْفَظْ مَارَسَمْ ٢٦٠

{كَتْبٌ، إِجَازَةٌ، وَحِفْظُ الرَّسْمِ　　قِرَاءَةٌ، تَدْرِيسُ آخْذُ الْعِلْمِ

وَمَن يُقَدِّمْ رُتْبَةً عَنِ الْمَحَلْ　　مِن ذِي الْمَرَاتِبِ الْمَرَامَ لَمْ يَنَلْ}

الـفَصْلُ الرَّابِـعُ

فِي بَيَانِ أَنَّ الْحِفْظَ أَهَمُّ هَـٰذِهِ الْأُسُسِ بَـعْـدَ التَّـلَقِّي عَلَىٰ أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ

وَالْحِفْظُ أَوْلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنْ أُسُسِ ... فَادْأَبْ عَلَيْهِ فِي الضُّحَىٰ وَالْغَلَسِ

وَكُـلَّ حِينٍ مَا حَيِيتَ وَاصْطَبِرْ ... عَلَيْـهِ وَاسْأَلِ الْمَلِيكَ الْـمُقْـتَدِرْ

سُبْحَانَـهُ الـتَّوْفِـيقَ وَالتَّثْبِـيتَا ... عَلَىٰ الْـهُدَىٰ وَالـرُّشْدِ مَاحَيِيتَا

وَأَن تَكُونَ حَافِـظًـا مُسْتَحْـضِرا ... تُـمْطِرُ طُـلَّابَ الْـعُلُـومِ الدُّرَرَا

{مَنْ مُنِحَ الْحِفْظَ - رُزِقْـتَهُ - وَعَىٰ} ... وعَاشَ فِي أَوْهَامِـهِ مَن ضَيَّعَا

لِأَنَّـهُ لِـفَـهْـمِـنَا الْأَسَاسُ ... وَحَظُّ مَن يَـتْرُكُهُ الْإِفْـلَاسُ

وَالْحِفْظُ مِنْ خَصَائِصِ الْعُرْبِ كَمَا ... أَتَىٰ عَنِ الْـمُخْتَارِ نَصًّا مُحْكَمَا

أَلْـفَاظُـهُ كَـمَا أَتَتْ مَرْوِيَّـهْ ... بِـالنَّـصِّ «إِنَّا أُمَّـةٌ أُمِّـيَّـةْ»

أَتْـبَعَهَا بِقَوْلِـهِ: «لَانَكْـتُبُ» ... وَبَعْدَ وَاوِ الْعَطْفِ جَا «لَانَحْسُبُ»

وَهْوَ حَـدِيثٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَرَدْ ... صَلَّىٰ عَلَىٰ قَائِـلِهِ الْفَرْدُ الصَّمَدْ

وَالْأَمْرُ بِالْحِفْظِ أَتَىٰ صَرِيـحَا ... عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ صَحِيحَا

كَـذَا أَتَىٰ عَنْ صَحْبِهِ الْأَبْـرَارِ ... وَالـتَّابِـعِيـنَ السَّادَةِ الْأَخْـيَارِ

أَثْـنَىٰ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ مَنْ بَـعْدَهُمْ ... نَبِيُّـنَا فَقَالَ: «خَـيْرُ النَّاسِ» هُمْ

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ اشْتِهَارُهُ ثَبَتْ ... مِن طُرُقٍ كَـثِيـرَةٍ تَـعَدَّدَتْ

بَلِ اسْتَفَاضَ فِيهِمَا ، وَإِن تُرِدْ ... ثُبُوتَهُ فِي غَيْرِ ذَيْنِ فَأَعِدْ

لِذَلِكَ الْعُدَّةَ لَكِنِّي أَرَىٰ ... أَنْ يُكْتَفَىٰ بِمَنْ حَكَىٰ التَّوَاتُرَا

أَعْنِي بِهِ الْحَافِظَ فِي «الْإِصَابَهْ» ... فَكَمْ لَهُ فِي الْبَحْثِ مِنْ إِصَابَهْ

وَأَمْرُ خَيْرِ الْخَلْقِ بِالْحِفْظِ أَتَىٰ ... لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ حَيْثُ ثَبَتَا [٢٨٠]

عَنْهُ صَرِيحًا أَمْرُهُ بِحِفْظِ مَا ... بَيَّنَ مِنْ حِلٍّ وَمَا قَدْ حَرَّمَا

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ «احْفَظُوهُ» ... فَإِنْ أَتَيْتُمْ قَوْمَكُمْ فَارْوُوهُ

أَلْفَاظُهُ كَثِيرَةٌ مُحَرَّرَهْ ... وَفِي الصَّحِيحَيْنِ رَوَاهَا الْمَهَرَهْ

وَفِي حَدِيثٍ ثَابِتٍ عَنْهُ دَعَا ... لِحَافِظِي سُنَّتِهِ نِعْمَ الدُّعَا

فَقَالَ فِيهِ «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا ... سَمِعَ مِنِّي» مَا أَقُولُ وَرَأَىٰ

أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُبَلِّغَهْ ... لِغَيْرِهِ كَمَا وَعَىٰ ، فَبَلَّغَهْ

وَ«رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا» قَدْ ثَبَتَا ... عَنِ ابْنِ ثَابِتٍ صَرِيحًا ، وَأَتَىٰ

ذَلِكَ فِي سِفْرِ ابْنِ حِبَّانَ كَمَا ... حَوَاهُ «الْإِحْسَانُ» بِتَرْتِيبٍ سَمَا

وَجَاءَ فِيهِ قَوْلُهُ: «فَحَفِظَهْ» ... وَذَاكَ خَيْرُ شَاهِدٍ فَلْتَحْفَظَهْ

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَرَدْ ... إِذْ صَحَّ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ لَا تُرَدّْ [٢٩٠]

وَكَمْ لَهُ مِنْ شَاهِدٍ مَنْقُولِ ... يُرْوَىٰ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْفُحُولِ

نَحْوُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْأَصْحَابِ ... رَوَوْهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالْكِتَابِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْبَاقِي ... مَا انْبَعَثَتْ نَوَازِعُ الْأَشْوَاقِ

وَعَدَّهُ الْحَافِظُ فِيمَا اشْتَهَرَا ... وَعِندَ قَوْمٍ يَبْلُغُ التَّوَاتُرَا

ثُمَّ أَتَىٰ الْأَمْرُ بِحِفْظِ الْعِلْمِ عَنْ ... بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَحُرَّاسِ السُّنَنْ

مِن تَابِعِيهِمْ: فَابْنُ قَيْسٍ قَدْ زَجَرْ ... مَن رَامَ أَن يَكْتُبَ عَنْهُ بَلْ أَمَرْ

أَن يُحْضِرُوا مَاءً لَهُ لِيَغْسِلَا ... مَا كَتَبُوا ، بَلْ قَالَ فِيمَا نَقَلَا

لَا تَكْتُبُوا بَلِ احْفَظُوا عَنَّا كَمَا ... كُنَّا حَفِظْنَا عَنْ إِمَامِ الْعُلَمَا

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْخَالِقُ ... الصَّمَدُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ الرَّازِقُ

وَمَا أَتَىٰ عَنِ ابْنِ قَيْسٍ ثَبَتَا ... وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ لَفْظُهُ أَتَىٰ

وَنَحْوُهُ عَنِ ابْنِ مَالِكٍ وَرَدْ ... فِي الدَّارِمِيِّ إِذْ بِهِ صَحَّ السَّنَدْ

عَنْهُ، وَزَادَ قَوْلَهُ: لَن نَجْعَلَا ... ذَلِكَ قُرْآنًا ، وَهَذَا نَقَلَا

عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَصْحَابِ ... وَالتَّابِعِينَ الْكُمَّلِ الْأَنجَابِ

«لَا نَكْتُبُ الْعِلْمَ وَلَا نُكْتِبُهُ» ... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، كَذَا يَنسِبُهُ

إِلَىٰ ابْنِ صَخْرٍ حَافِظِ الْإِسْلَامِ ... بَعْضٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ

ثُمَّ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَارَا ... مِن تَابِعِيهِمْ مَن نَحَا الْإِنكَارَا

أَشْهَرُهُمْ عَبِيدَةٌ وَالنَّخَعِي ... ثُمَّ ابْنُ سِيرِينَ الْإِمَامُ اللَّوْذَعِي

كَذَلِكَ الزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِي ... لَمْ يَكْتُبَا فِي مَجْلِسِ السَّمَاعِ

وَذَكَرَ الشَّعْبِيُّ : مَا كَتَبْتُ   سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ أَوْ رَغِبْتُ

فِي أَن يُعَادَ مَا سَمِعْتُ أَبَدَا   يَالَهْفَ قَلْبِي وَيْحَهُ مَا أَبْلَدَا ٣١٠

أَصْلِحْهُ يَارَبَّاهُ وَامْنَحْنِي الْهُدَىٰ   وَالْحِفظَ وَالْفِقْهَ وَعَيْشَ السُّعَدَا

وَهَبْ لِكُلِّ السَّالِكِينَ ذَٰلِكَا   وَاجْنُبْهُمُ الْمَسَالِكَ الْحَوَالِكَا

ثُمَّ أَتَىٰ مِن بَعْدِهِمْ مَن شَدَّدَا   فِي مَسْلَكِ الْحِفْظِ فَكَبَّلَ الْيَدَا

كَثَعْلَبٍ إِذْ قَالَ وَهْوَ الْعَجَبُ   فِي حِفْظِهِ وَفَارِسٌ لَا يُغْلَبُ

إِذَا أَرَدتَ أَن تَكُونَ عَالِمَا   فَلْتَكْسِرِ الْيَرَاعَ تَبْقَ الرَّاقِمَا

لِمَا سَمِعْتَ فِي رَقِيمِ صَدْرِكَا   مُدَوِّنًا ذَٰلِكَ فِي تَامُورِكَا

وَمَا مَضَىٰ مِن نَهْيِهِمْ عَن كَتْبِ مَا   قَدْ سَمِعُوا مِنَ الْعُلُومِ إِنَّمَا

ذَٰلِكَ مَحْمُولٌ عَلَىٰ التَّدْوِينِ فِي   مَجَالِسِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يُعَنَّفِ

مَن دَوَّنُوا مِنْ حِفْظِهِمْ مَا سَمِعُوا   فَحَفِظُوا الْعِلْمَ وَلَمْ يُضَيِّعُوا

وَبَعْضُهُمْ قَدْ خَافَ مِنْ هِجْرَانِ   طُلَّابِهِ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ٣٢٠

بِالِاشْتِغَالِ بِالْحَدِيثِ فَمَنَعْ   تَدْوِينَ سُنَّةِ الرَّسُولِ الْمُتَّبَعْ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللَّهُ مَا   أَطْلَعَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ الْأَنْجُمَا

أَوْ خَافَ الِاتِّكَالَ كَاتِّكَالِنَا   عَلَىٰ وُجُودِ الْكُتُبِ فِي زَمَانِنَا

فَجَعَلُوا الْحِفْظَ لَهُمْ وَسِيلَهْ   إِلَىٰ بُلُوغِ الرُّتْبَةِ الْجَلِيلَهْ

فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ فَنَالُوا الشَّرَفَا   وَاللهُ خَصَّهُمْ بِذَا وَشَرَّفَا

وَقَدْ رَوَىٰ الْخَطِيبُ فِي «التَّقْيِيدِ» مِنْ   أَخْبَارِهِمْ مَا فِيهِ ذِكْرَىٰ لِلْفَطِنْ

وَبَعْضُهَا قَدْ جَاءَ فِي «الْمُحَدِّثِ»   لِلْحَسَنِ الْأَدِيبِ وَالْمُحَدِّثِ

وَمِنْهُمُ مَن كَانَ يَمْحُو مَا كَتَبْ   إِذْ كُلُّ مَا دَوَّنَهُ حَتْمًا وَعَبْ

فَالْخَطُّ عِندَهُمْ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ   حِفْظِهِمُ الْعِلْمَ كَمَا قَدْ نُقِلَا

عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ كَمَسْرُوقٍ وَمَنْ   أَبَانَ ذَا كَمَالِكٍ نَجْمِ السُّنَنْ   ٣٣٠

وَالْمَحْوُ بَعْدَ الْحِفْظِ غَيْرُ مُمْكِنِ   فِي عَصْرِنَا ، وَيَا لَهُ مِن زَمَنِ

نَرَىٰ بِهِ الْوَسَائِلَ الْعَجِيبَهْ   وَنَسْمَعُ الطَّرَائِقَ الْغَرِيبَهْ

لَٰكِن سَيَبْقَىٰ الْحِفْظُ خَيْرَ مُسْعِفِ   لِلطَّالِبِينَ بَلْ هُوَ الْخِلُّ الْوَفِي

لَوْ رَكَّبُوا الْأَقْرَاصَ فِي عُيُونِنَا   وَأَوْدَعُوا الْحَاسِبَ فِي صُدُورِنَا

لَن نَّجْنِيَ الْعِلْمَ بِدُونِ الْحِفْظِ يَا   بُنَيَّ فَلْتَكُن بِهِ مُعْتَنِيَا

وَلْتَنتَفِعْ بِهَٰذِهِ الْوَسَائِلِ   مِن دُونِ إِسْرَافٍ وَلَا تَوَاكُلِ

وَبَعْدَ أَن جَاءَ الْفَتَى الْمَرْوَانِي ... الرَّاشِدُ الْمُسَدَّدُ الرَّبَّانِي

شَاوَرَ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي تَدْوِينِ ... سُنَّةِ خَيْرِ خَلْقِهِ الْأَمِينِ

صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مَنْ خَتَمْ ... بِهِ جَمِيعَ الرُّسْلِ وَالْوَحْيَ أَتَمّْ

وَكَانَ ذَا الْأَمْرُ عَلَى رَأْسِ الْمِائَهْ ... يُعِينُهُ فِي ذَلِكُمْ خَيْرُ فِئَهْ ٣٤٠

مِن تَابِعِي أَصْحَابِ خَيْرِ الرُّسُلِ ... مِثْلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ الْوَلِي

وَابْنِ شِهَابٍ وَكَذَاكَ الْقَاسِمُ ... وَغَيْرُهُمْ، تَحْدُوهُمُ الْعَزَائِمُ

فَأَجْمَعُوا عَلَى كِتَابَةِ السُّنَنْ ... حِفْظًا لَهَا مِنَ الْعَوَادِي وَالْمِحَنْ

وَقِيلَ : إِنَّ ابْنَ شِهَابٍ سَبَقَا ... سِوَاهُ، لَا غَرْوَ يَكُونُ الْأَسْبَقَا

وَأَصْبَحَتْ مَجَالِسُ التَّحْدِيثِ ... تَزْخَرُ بِالتَّدْوِينِ لِلْحَدِيثِ

وَازْدَحَمَتْ بِرُزَمِ الدَّفَاتِرِ ... تَزْدَانُ بِالْأَقْلَامِ وَالْمَحَابِرِ

لَكِنَّهُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَّكِلُوا ... فَحَفِظُوا مَا بِالْيَرَاعِ سَجَّلُوا

وَبَقِيَ الْحِفْظُ دَلِيلَ الطَّالِبِ ... بِهِ يَنَالُ غَايَةَ الْمَآرِبِ

مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ أَقْوَى الْأُسُسِ ... فَاحْرِصْ عَلَيهِ يَا بُنَيَّ وَائْتَسِ

بِالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ ثُمَّ مَن مَضَى ... عَلَى الْخُطَى، فَهْوَ السَّبِيلُ الْمُرْتَضَى ٣٥٠

وَاسْمَعْ لِمَا أَسْنَدَهُ الْخَطِيبُ فِي ... جَامِعِهِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّيْرَفِي

{ لَيسَ بِعِلْمٍ مَاحَوَى القِمَطْرُ مَا الْعِلْمُ إلا مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ

فَذَاكَ فِيهِ شَرَفٌ وَفَخْرُ وَرُتْبَةٌ جَلِيلَةٌ وَقَدْرُ }

وَجُلُّنَا يَحْفَظُ قَولَ الرَّحَبِي فِي نَظْمِهِ الْمُحَرَّرِ الْمُسْتَعْذَبِ

إِذْ قَالَ وَهْوَ حَافِظٌ هُمَامُ {فَاحْفَظْ فَكُلُّ حَافِظٍ إِمَامُ}

وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي الحَدِيدِ فِي أَوَّلِ نَظْمِهِ « الْفَصِيحَ » فَاعْرِفِ

{وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ إِذَا لَمْ يَنضَبِطْ بِالْحِفْظِ لَمْ يَنفَعْ وَمَن مَارَىٰ غَلِطْ}

وَهَاكَ يَابُنَيَّ قَوْلاً سَالِفَا {يَا أَيُّهَا الْمُضَمِّنُ الصَّحَائِفَا

مَا قَدْ رَوَىٰ يُضَارِعُ الْمَصَاحِفَا اِحْفَظْ وَإِلَّا كُنتَ رِيحًا عَاصِفَا}

وَمُودِعُ الْعِلْمِ الْقَرَاطِيسَ يُذَمّْ مِن دُونِمَا حِفْظٍ لَدَىٰ أَهْلِ الْهِمَمْ

لَاخَيْرَفِي عِلْمِ فَتىً لَايَعْبُرُ بِهِ - بُنَيَّ - وَادِيًا أَوْ يَعْمُرُ

بِهِ النَّوَادِي قَالَهُ الْحَكِيمُ وَهْوَ كَلَامٌ مُحْكَمٌ قَوِيمُ

لِذَلِكُمْ مَنْ حَفِظَ الْمُتُونَا حَازَ - وَبِالشَّرَفِ - الْفُنُونَا

كَذَلِكُمْ مَنْ حَفِظَ الأُصُولَا فَإِنَّهُ قَدْ ضَمِنَ الْوُصُولَا

وَكُلُّ مَن ضَيَّعَهَا قَدْ حُرِمَا طِيبَ الْوُصُولِ فَاجْتَهِدْ كَيْ تَغْنَمَا

وَاسْعَ بِجِدٍّ وَاجْعَلَنْ مِخْبَرَتَكْ أُذْنَيْكَ ، وَلْيَكُ الْفُؤَادُ دَفْتَرَكْ

فَالْعِلْمُ مَا ثُبِّتَ فِي الْخَوَاطِرِ وَلَيْسَ مَا أُودِعَ فِي الدَّفَاتِرِ

شُبْهَةٌ دَاحِضَةٌ

وَبَعْدَ مَا مَضَىٰ مِنَ الْبَيَانِ ... وَاتَّضَحَ الْحَقُّ لِذِي عِرْفَانِ
إِيَّاكَ يَا بُنَيَّ أَن تَنْخَدِعَا ... بِشُبْهَةٍ نَسَجَهَا مَنِ ادَّعَىٰ
بِأَنَّ حِفْظَنَا الْمُتُونَ مَضْيَعَهْ ... لِلْوَقْتِ مِن دُونِ اجْتِلَابِ مَنفَعَهْ ٣٧٠
دَعْوَاهُمُ أَن يَفْهَمَ الصَّغِيرُ ... مِن دُونِ تَلْقِينٍ بِهِ يَصِيرُ
لِلْعِلْمِ مُبْغِضًا شَرُودَ الْفَهْمِ ... فَالْفَهْمُ وَحْدَهُ طَرِيقُ الْعِلْمِ
وَأَنَّ مَن يَحْفَظُ مِثْلُ الْبَبَّغَا ... وَغَيْرُ هَذَا مِنْ هُرَاءٍ وَرُغَا
إِذْ قِيلَ عَنْ حَافِظِ وَحْيِ الصَّمَدِ ... زِيدَتْ لَدَيْنَا نُسْخَةٌ فِي الْبَلَدِ
قَدْ نَجَحَ الْأَعْدَاءُ فِي إِقْنَاعِنَا ... بِهَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي أَوْطَانِنَا
وَأَوْهَمُونَا أَنَّ حَمْلَ اللَّقَبِ ... هُوَ دَلِيلُ الْعِلْمِ، يَا لَلْعَجَبِ
مِنْ أَجْلِ أَن يَنشَأَ جِيلٌ جَاهِلُ ... مِنْ حِلْيَةِ الْعِلْمِ الْعَظِيمِ عَاطِلُ
لِذَا رَأَيْنَا زُمَرًا قَدْ حَمَلُوا ... أَعْلَىٰ الشَّهَادَاتِ، وَمَا تَحَمَّلُوا
مِنَ الْعُلُومِ غَيْرَ مَا قَدْ نَقَلُوا ... فِي تِلْكُمُ الْأَبْحَاثِ يَا مَن يَعْقِلُ
إِلَّا الَّذِينَ أَخَذُوا أَنفُسَهُمْ ... بِالْمَنْهَجِ الْأَسْمَىٰ وَمَا أَقَلَّهُمْ ٣٨٠
فَالْحِفْظُ يَا قَوْمُ طَرِيقُ الْفَهْمِ ... ثُمَّ هُمَا مِنْهَاجُنَا فِي الْعِلْمِ
إِذَا سَلَكْنَا مَسْلَكَ التَّدَرُّجِ ... وَتَرْكُهُ هُوَ انتِهَاجُ الْعِوَجِ

هَلْ حَافِظُ الْقُرْآنِ مِثْلُ الْجَاهِلِ ... بِمَوْضِعِ السُّورَةِ وَالْفَوَاصِلِ

لَا يَعْرِفُ السُّورَةَ حَتَّىٰ يَنظُرَا ... فِي فِهْرِسِ الْمُصْحَفِ هَـٰذَا إِن دَرَىٰ

مَوْضِعَهَا ، وَرُبَّمَا قَدْ وَعَبَا ... مِنَ الْأَغَانِي مَا يُثِيرُ الْعَجَبَا

مَعْ حِفْظِهِ أَسْمَاءَ مَن قَدْ نَعَقُوا ... بِهَا مِنَ الْأَحْيَاءِ أَوْ مَن سَبَقُوا

إِلَىٰ حَيَاةِ الْخُلْدِ وَالْجَزَاءِ ... يَا رَبِّ سَلِّمْنَا مِنَ الْبَلَاءِ

وَهَلْ يَكُونُ حَافِظُ الْمَسَائِلِ ... مِثْلَ فَتَىً فِي عِيِّهِ كَبَاقِلِ

لَا تُصْغِ يَا بُنَيَّ لِلْإِرْجَافِ ... وَلْتَتَّبِعْ مَنَاهِجَ الْأَسْلَافِ

فَمَنْ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ قَدْ سَلَكَا ... فَذَاكَ مِنْهُمْ فَاتَّخِذْهُ مَسْلَكَا

وَأَخْتِمُ الْفَصْلَ بِنَظْمِ اللُّؤْلُئِي ... فَهَاكَهُ مُنَضَّدًا كَاللُّؤْلُؤِ

{وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ ... وَالْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّفَهُّمِ

وَالْعِلْمُ قَدْ يُرْزَقُهُ الصَّغِيرُ ... فِي سِنِّهِ وَيُحْرَمُ الْكَبِيرُ

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ ... لَيْسَ بِرِجْلَيْهِ وَلَا يَدَيْهِ

لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ الْمُرَكَّبُ ... فِي صَدْرِهِ وَذَاكَ خَلْقٌ عَجَبُ

وَالْعِلْمُ بِالْفَهْمِ وَبِالْمُذَاكَرَةْ ... وَالدَّرْسِ وَالْفِكْرَةِ وَالْمُنَاظَرَةْ

فَرُبَّ إِنسَانٍ يَنَالُ الْحِفْظَا ... وَيُورِدُ النَّصَّ وَيَحْكِي اللَّفْظَا

وَمَا لَهُ فِي غَيْرِهِ نَصِيبُ ... مِمَّا حَوَاهُ الْعَالِمُ الْأَدِيبُ

وَرُبَّ ذِي حِرْصٍ شَدِيدِ الْحُبِّ لِلْعِلْمِ وَالذِّكْرِ بَلِيدِ الْقَلْبِ

مُعَجَّزٍ فِي الْحِفْظِ وَالرِّوَايَهْ لَيْسَتْ لَهُ عَمَّنْ رَوَى حِكَايَهْ

وَآخَرٍ يُعْطَى بِلَا اجْتِهَادِ حِفْظاً لِمَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْنَادِ

يُفِيدُهُ بِالْقَلْبِ لَا بِنَاظِرِهْ لَيْسَ بِمُضْطَرٍ إِلَى قَمَاطِرِهْ}

الْـفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ شُرُوطِ تَحْصِيلِهِ

وَبَعْدَ ذِكْرِ الْأُسُسِ الْمَتِينَهْ   لَابُدَّ مِن شُرُوطِهِ الْمُعِينَهْ

وَإِنَّنِي عَلَىٰ الْأَهَمِّ أَقْتَصِرْ   وَعَن قُصُورٍ فِي الْبَيَانِ اعْتَذِرْ

شُرُوطُهُ : قَدْرٌ مِنَ الذَّكَاءِ   مَا أَبْعَدَ الْعِلْمَ عَنِ الْغَبَاءِ

فَمَنْ حَبَاهُ اللهُ فَهْمًا ثَاقِبَا   كَانَ شِهَابًا فِي الْعُلُومِ ثَاقِبَا

وَالْبَذْلُ لِلْجَهْدِ ، مَعَ الْحِفَاظِ   عَلَىٰ الزَّمَانِ مَسْلَكُ الْحُفَّاظِ

فَالْوَقْتُ أَغْلَىٰ مَا حَبَاكَ الْمَوْلَىٰ   حَذَارِ أَن تُضِيعَهُ وَأَوْلَىٰ

وَ بِعُلُوِّ الْهِمَّةِ اتَّصِفْ ، وَلَا   تُخْلِدْ إِلَىٰ الرَّاحَةِ إِن رُمْتَ الْعُلَا

لَايَطْلُبُ الْعِلْمَ عَشِيرُ الْكَسَلِ   كَلَّا وَ لَا مُجَالِسٌ لِلْهَمَلِ

كَذَاكَ لَايَطْلُبُهُ ذُو الْمَلَلِ   وَكُلُّ بَطَّالٍ ضَعِيفِ الْحِيَلِ

لَا بُدَّ لِلْعِلْمِ مِنَ الصَّبْرِ وَمِنْ   إِتْعَابِكَ الْجِسْمَ فَكُن بِذَا قَمِنْ

وَارْحَلْ إِلَىٰ عَوَاصِمِ الْأَمْصَارِ   وَاعْمِدْ إِلَىٰ أَشْيَاخِهَا الْكِبَارِ

لَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ عَنِ الصِّغَارِ   فَإِنَّهُمْ مَظِنَّةُ الصَّغَارِ

وَلَا تَكُن مُسْتَعْجِلاً فِي الطَّلَبِ   مَا فَازَ عَجْلَانُ بِنَيْلِ الْأَرَبِ

لَا بُدَّ مِن طُولِ الزَّمَانِ فَادْأَبِ   وَاسْهَرْ عَلَىٰ تَنقِيحِهِ وَنَقِّبِ

لَا يَجْتَنِي ذُو النَّخْلِ مِنْهُ الرُّطَبَا دُونَ انتِظَارٍ نَالَ فِيهِ التَّعَبَا

{الْعِلْمُ بَحْرٌ مُنتَهَاهُ يَبْعُدُ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ إِلَيْهِ يُقْصَدُ}

{وَلَيْسَ كُلَّ الْعِلْمِ قَدْ حَوَيْتَهُ أَجَلْ، وَلَا الْعُشْرَ وَلَوْ أَحْصَيْتَهُ}

{مَا أَكْثَرَ الْعِلْمَ وَمَا أَوْسَعَهُ مَن ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَن يَجْمَعَهُ}

فَالْتَمِسِ الْأَنفَعَ وَالْأَهَمَّا وَاصْرِفْ إِلَيْهِ يَابُنَيَّ الْهَمَّا

وَلْتَبْدَأِ التَّحْصِيلَ فِي مُقْتَبَلِ عُمْرِكَ وَاحذَرَنْ لَذِيذَ الْأَمَلِ

وَإِنْ أَرَدتَ يَا بُنَيَّ الْأَخْذَ عَنْ أُولِي الرُّسُوخِ فَاقْصُدَنْ أَهْلَ السُّنَنْ

وَاجْتَنِبِ الْأَخْذَ عَنِ الْمُبْتَدِعِ فَرُبَّمَا تُبْلَى بِحُبِّ الْبِدَعِ

فَـ{كُنْ عَلَىٰ نَهجِ سَبِيلِ السَّلَفِ فِي مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفِ

وَتَابِعِ الصَّالِحَ مِمَّن سَلَفَا وَجَانِبِ الْبِدْعَةَ مِمَّنْ خَلَفَا

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَن سَلَفْ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ}

لِذَاكَ لَا بُدَّ مِنَ أمْرَيْنِ هُمَا حُسْنُ السُّؤَالِ عَنْ خِيَارِ الْعُلَمَا

ثَانِيهِمَا أَن تَسْتَخِيرَ اللهَ فِي الْـ. . . . .أَخْذِ عَنِ الْأَمْثَلِ مِنْهُمْ فَامْتَثِلْ

وَإِنَّ مِنْ بَيْنِ رِجَالِ الْعِلْمِ مَن اسْتَفَاضَ فَضْلُهُ فِي الْقَوْمِ

وَكَمُلَتْ فِي عَصْرِهِ أَهْلِيَّتُهْ وَعُرِفَتْ أَخْلَاقُهُ وَعِفَّتُهْ

وَظَهَرَتْ بَيْنَ الْوَرَىٰ مُرُوءَتُهْ وَاشْتَهَرَتْ لَدَيْهِمُ صِيَانَتُهْ

فَذَا هُوَ الْقُدْوَةُ فَالْزَمْ مَجْلِسَهْ ... وَحَقَّهُ احْذَرْ يَا فَتَىٰ أَن تَبْخَسَهْ

وَلَاتَقَيَّدْ بِأُولِي الشُّهْرَةِ فِي ... سَمَاعِكَ الْعِلْمَ فَرُبَّ مُخْتَفِ

بِالْعِلْمِ مِن ذَوِي الْخُمُولِ أَنفَعُ ... لِطَالِبِيهِ ، فِي الزَّوَايَا يَقْبَعُ

لَا يَمْنَعَنْكَ الْكِبْرُ أَن تَأْخُذَ عَنْ ... أَصْغَرَ مِنكَ ، فَهْوَ غَبْنٌ فَاعْلَمَنْ

إِنْ كَانَ مِنكَ بِالْفُنُونِ أَعْلَمَا ... وَلِلْمَسَائِلِ الْعِظَامِ أَفْهَمَا

فَقَدْ رَوَىٰ الْأَشْيَاخُ عَن طُلَّابِهِمْ ... كَمَا رَوَىٰ الزُّهْرِيُّ عَن مَالِكِهِمْ

وَالْأَخْذُ عَن شَيْخٍ مُشَارِكٍ أَتَمّْ ... نَفْعًا لِطُلَّابِ الْعُلُومِ وَأَعَمّْ

مَن لَمْ يَكُن لَهُ شُيُوخٌ اجْتَنِبْ ... أَخْذَكَ عَنْهُ لَا تَكُن كَالْمُحْتَطِبْ

إِذْ مِن بُطُونِ الْكُتْبِ قَدْ تَفَقَّهَا ... كَمَا يَقُولُ الشَّافِعِيُّ ذُو النُّهَىٰ

مَن وَلَجَ الْكُتُبَ وَحْدَهُ خَرَجْ ... مِنْهَا - وُقِيتَ - وَحْدَهُ كَمَا وَلَجْ

لَا تَأْخُذِ الْقُرْآنَ عَمَّنْ أَخَذَا ... عَن مُصْحَفِيٍّ مِثْلِهِ فَإِنَّ ذَا

كَالْأَخْذِ عَن كُلِّ جَهُولٍ صَحَفِي ... مُصَحِّفٍ كَمَا تَلَا فِي الصُّحُفِ

فَلْتَثْنِ رُكْبَتَيْكَ فِي الْمَسَاجِدِ ... مُشَافِهًا لِكُلِّ شَيْخٍ مَاجِدِ

وَاخْتَرْ قَرِينًا كَيْ يَشُدَّ أَزْرَكَا ... وَشُدَّ - إِن رُمْتَ الْعُلَىٰ - مِئْزَرَكَا

وَاحْرِصْ عَلَىٰ الْبُكْرَةِ وَالتَّبْكِيرِ ... وَاهْجُرْ لَذِيذَ النَّوْمِ فِي السَّرِيرِ

ثُمَّ أَهِن نَفْسَكَ فِي اطِّلَابِهِ ... إِن كُنتَ يَا بُنَيَّ مِن طُلَّابِهِ

فَإِنَّهُ إن تُعْطِهِ كُلَّكَ لَا ... يُعْطِيكَ إلَّا بَعْضَهُ، وَنُقِلَا

مَن لَمْ تَكُن مُحْرِقَةً بِدَايَتُهْ ... تَخَلَّفَتْ عَنِ الضِّيَا نِهَايَتُهْ (٤٥)

وَوَزِّعِ الْأَوْقَاتَ فِي النَّهَارِ ... وَاللَّيْلِ لِلْحِفْظِ وَالِاسْتِذْكَارِ

وَالْبَحْثِ وَالتَّنقِيبِ وَالْمُطَالَعَهْ ... وَالْجَمْعِ وَالتَّحْرِيرِ وَالْمُرَاجَعَهْ

وَدَبِّرِ الْمَالَ لِجَلْبِ الْكُتُبِ ... وَكُلِّ مَا تَحْتَاجُهُ فِي الطَّلَبِ

وَأَخِّرِ الزَّوَاجَ كَيْ تَنقَطِعَا ... لِأَخْذِكَ الْعِلْمَ، وَعَادِ الشِّبَعَا

أَكْثِرْ مِنَ الصِّيَامِ كَيْ يَكُونَا ... لَكَ عَلَى تَحْصِيلِهِ مُعِينَا

وَقَدْ مَضَى فِي ثَالِثِ الْفُصُولِ مَا ... نَظَمَهُ حَمَّادُ فِي بَيْتٍ سَمَا

{لَهُ تَغَرَّبْ، وَتَوَاضَعْ، وَاتَّرِعْ ... وَجُعْ، وَهُنْ، وَاعْصِ هَوَاكَ، وَاتَّبِعْ}

وَاقْنَعْ مِنَ الْقُوتِ بِمَا تَيَسَّرَا ... ثُمَّ مِنَ اللِّبَاسِ مَا قَدْ سَتَرَا

وَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَا يُنَافِي ... تَجَمُّلَ الْمَرْءِ لَدَى الْأَضْيَافِ

فَرَبُّنَا جَلَّ جَمِيلٌ وَيُحِبُّ ... لَنَا الْجَمَالَ، وَالْمُبَاهَاةَ اجْتَنِبْ (٥٠)

وَلْتَتَحَرَّ الْحِلَّ فِي مَأْكَلِكَا ... ثُمَّ تَقَلَّلْ وَاحْتَرِسْ مِنْ بَطْنِكَا

فَفِطْنَةُ الْمَرْءِ يُغَطِّيهَا الشِّبَعْ ... وَرِقَّةُ الْقَلْبِ تُوَارِيهَا الْمُتَعْ

وَالْعِلْمُ لَا يُطْلَبُ بِالتَّنَعُّمِ ... وَرَاحَةِ الْجِسْمِ وَطِيبِ الْمَطْعَمِ

وَقَلِّلِ الْمَنَامَ وَالْكَلَامَا ... وَاجْتَنِبِ الْهَزْلَ كَذَا الْخِصَامَا

وَقَلِّلِ الْمِزَاحَ فَهْوَ إِنْ غَلَبْ ... أَدَّىٰ إِلَىٰ زَرْعِ الشِّقَاقِ وَالْعَتَبْ

وَاسْمُ بِنَفْسِكَ عَنِ التَّأَنُّقِ ... فِي مَلْبَسٍ ، كَذَا عَنِ التَّعَلُّقِ

بِمَا بِهِ يَسْتَمْتِعُ الْأَطْفَالُ ... وَالْفَارِغُونَ الْهَمَلُ الْجُهَّالُ

مِن تَافِهِ الشَّرَابِ وَالْمَآكِلِ ... فَذَاكَ يُزْرِي بِالْحَصِيفِ الْعَاقِلِ

مِثْلِ الْبَطَاطِسِ وَالِائْتِدَامِ ... بِشَطَّةٍ تَخْنُقُ كَالزُّكَامِ

وَالِاسْكِرِيمِ وَكَذَا الْجَالِكْسِي ... لَاسِيَّمَا إِن قُرِنَا بِالْبِبْسِي ٤٧٠

لَا تَشْرَبِ الْبِبْسِي وَلَا الْكَاكُولَا ... ثُمَّ اقْتَصِدْ وَلَاتَكُنْ أَكُولَا

لِكُلِّ مَا تَرْغَبُ مِن طَعَامِ ... فَإِنَّهُ مَجْلَبَةُ الْأَسْقَامِ

وَمَا مَضَىٰ مِنْ أَشْهَرِ الْمَشَارِبِ ... لِلْمَرَضِ الْعُضَالِ شَرُّ جَالِبِ

فَاغْتَذِ بِالَّذِي حَبَاكَ الْمُنْعِمُ ... مِمَّا بِهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ يُنْعِمُ

مِنْ نَافِعِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ ... مُؤْتَسِياً بِأَفْضَلِ الْأَنَامِ

فِي هَدْيِهِ ، صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا ... هَبَّ الصَّبَا وَطَائِرٌ تَرَنَّمَا

وَاحْرِصْ عَلَىٰ مَا زَادَ فِي الْحِفْظِ وَمَا ... بِهِ نُمُوُّ الْفَهْمِ مِمَّا عُلِمَا

تَأْثِيرُهُ وَنَفْعُهُ كَالْعَسَلِ ... وَكَالزَّبِيبِ بُكْرَةً ، وَلْتَسْأَلِ

مَوْلَاكَ أَن يَمْنَحَكَ التَّوْفِيقَا ... وَأَن يُسَهِّلَ لَكَ الطَّرِيقَا

إِلَىٰ اكْتِسَابِ الْعِلْمِ وَالْمَعَارِفِ ... شَتَّانَ بَيْنَ جَاهِلٍ وَ عَارِفِ ٤٨٠

وَاحْفَظْهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَحْفَظْكَ مَا   حَيِيتَ ، لَا تَعْدِلْ بِذَاكَ مَغْنَمَا

وَهْوَ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ   لِلْبَحْرِ عَبْدِاللهِ حَبْرِ الْأُمَمِ

وَقَدْ أَتَىٰ تَصْحِيحُهُ مُقْتَرِنَا   بِالْحُسْنِ عِندَ التِّرْمِذِيِّ ذِي الْغِنَا

ثُمَّ اغْتَنِمْ مِن قَبْلِ خَمْسٍ خَمْسَا   إِذْ صَحَّ عَمَّن قَدْ أَزَالَ اللَّبْسَا

صَلَّىٰ عَلَيْهِ رَبُّنَا مَا سَبَّحَا   مُسَبِّحٌ وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَىٰ

فَاغْتَنِمِ الشَّبَابَ قَبْلَ الْهَرَمِ   وَاغْتَنِمِ الصِّحَّةَ قَبْلَ السَّقَمِ

كَذَا غِنَاكَ قَبْلَ أَن تَفْتَقِرَا   ثُمَّ الْفَرَاغَ قَبْلَ شُغْلٍ يُزْدَرَىٰ

وَاغْتَنِمِ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ   فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ غَيْرُ الْفَوْتِ

وَهْوَ عَنِ الْبَحْرِ أَتَىٰ ، وَصَحَّحَا   حَاكِمُهُمْ إِسْنَادَهُ، وَصَرَّحَا

بِذَاكَ حَافِظُ الزَّمَانِ ابْنُ حَجَرْ   وَكَمْ مِنَ الصَّخْرِ تَفَجَّرَ النَّهَرْ

وَبَعْدَ ذَاكَ يُسْأَلُ الْخَلَائِقُ   عَنْ أَرْبَعٍ وَتُكْشَفُ الْحَقَائِقُ

يُسْأَلُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ عُمُرِهْ   فِيمَ قَضَاهُ وَهْوَ سِرُّ خَبَرِهْ

كَذَلِكُمْ عَنْ عِلْمِهِ سَيُسْأَلُ   هَلْ كَانَ فِي دُنْيَاهُ حَقًّا يَعْمَلُ

ثُمَّ عَنِ الْمَالِ الَّذِي قَدْ كَسَبَهْ   مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ الضَّعِيفُ اكْتَسَبَهْ

وَفِيمَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ أَنفَقَهْ   وَمَا الَّذِي فِي سَعْيِهِ قَدْ حَقَّقَهْ

وَفِيمَ أَبْلَىٰ جِسْمَهُ هَلْ كَانَ فِي   دَرْبِ الْهُدَىٰ أَوِ الضَّيَاعِ الْمُؤْسِفِ

قَدْ صَحَّ عِندَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ ذِي الذِّكْرِ الْحَمِيدِ الطَّيِّبِ

★ ★ ★

هَلْ بَعْدَ ذَا يَحْسُنُ أَن تُضَيِّعَا شَرْخَ الشَّبَابِ لَاهِيًا مُسْتَمْتِعَا

كَمَن رَضُوا بِالْهُونِ وَالْقُعُودِ فِي طُرُقَاتِ النَّاسِ كَالْقُرُودِ

وَكَمْ تَرَىٰ مَن لِلُّبَانِ يَعْلُكُ دَوْمًا وَفِي كُلِّ طَرِيقٍ يَسْلُكُ

أَوْ يَقْرِضُ الْفِصْفِصَ قَرْضَ الْفَارِ وَهَمُّهُ تَتَبُّعُ السُّمَّارِ

تَرَاهُ دَوْمًا عَابِثًا بِالْمِسْبَحَهْ هَلْ ذَكَرَ اللهَ عَلَا أَوْ سَبَّحَهْ

وَكُلُّ شَاخِصٍ يَرَىٰ صُورَتَهُ بِهِ، تَمَطَّىٰ مُصْلِحًا غُتْرَتَهُ

وَقَوَّمَ الْعِقَالَ وَالْمِرْزَامَا وَزَيَّنَ الْأَزْرَارَ وَالْأَكْمَامَا

كَمْ ضَيَّعَ الْفَارِغُ مِنْ أَوْقَاتِ عِندَ وُقُوفِهِ لَدَىٰ الْمِرْآةِ

بَلْ قَدْ أَضَاعَ مَا لَهُ اللهُ وَهَبْ مِن صِحَّةٍ وَمِن فَرَاغٍ وَنَشَبْ

وَذَاكَ وَاللهِ هُوَ الْمَغْبُونُ أَخْبَرَ عَنْهُ الصَّادِقُ الْمَأْمُونُ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا ازْدَانَ الثَّمَرْ وَمَا تَبَدَّىٰ فِي لَيَالِينَا الْقَمَرْ

مَنْ هَـٰذِهِ صِفَاتُهُ لَايَصْلُحُ لِلْعِلْمِ لَوْ كَانَ ذَكِيًّا يُمْدَحُ

فَكَيْفَ مَن كَانَ بَلِيدًا جَانِحًا لِلَّهْوِ، فِيهِ غَادِيًا وَرَائِحًا

الْبَابُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ وَالْمُعَلِّمِ، وَعَوَائِقِ الطَّلَبِ

وفِيهِ: خَمْسَةُ فُصُولٍ.

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الطَّالِبِ مَعَ شَيْخِهِ.

تَوْطِئَةٌ

وَبَعْدَ إِيرَادِ أَهَمِّ الْأُسُسِ ... فِي الْأَخْذِ عَن كُلِّ فَقِيهٍ كَيِّسِ

وَذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنَ الشُّرُوطِ فِي ... تَحْصِيلِهِ، أَذكُرُ مَا بِهِ يَفِي

مَنْهَجُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي التَّعْلِيمِ ... مُقْتَرِناً بِالْمَسْلَكِ الْقَوِيمِ

وَهْوَ الَّذِي سُمِّيَ بِالْآدَابِ ... بَيْنَ الْمُعَلِّمِينَ وَالطُّلَّابِ

وَتِلْكَ الْآدَابُ بِهَا تَأَدَّبَا ... أَسْلَافُنَا وَأَوْدَعُوهَا الْكُتُبَا

كَأَدَبِ الطَّالِبِ فِي التَّلَقِّي ... عَن شَيْخِهِ، وَمَا لَهُ مِنْ حَقِّ

عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدَبِ الطُّلَّابِ ... بَيْنَهُمُ، وَبَعْضُ ذِي الْآدَابِ

يَخْتَصُّ بِالشَّيْخِ وَبَعْضٌ يَشْمَلُ ... حَقَّ الْجَمِيعِ فَادْرِ مَا أُفَصِّلُ

مُبْتَدِئاً بِذِكْرِ مَا لِلشَّيْخِ مِنْ ... حَقٍّ عَلَى طُلَّابِهِ بِهِ فَمَنْ

وَذَاكَ حَقٌّ وَاسِعُ الْأَبْوَابِ ... يَعْجِزُ عَنْهُ أَكْثَرُ الطُّلَّابِ ٥٢٠

★ ★ ★

اِحْتَرِمِ الشَّيْخَ، وَبَجِّلْهُ، وَلَا ... تَنسَ لَهُ فَضْلاً، وَأَعْلِنْ فِي الْمَلَا

تَوْقِيرَهُ وَمَا لَهُ مِن فَضْلِ ... فَذَاكَ مِن شِيمَةِ أَهْلِ النُّبْلِ

وَاصْبِرْ عَلَىٰ جَفْوَتِهِ، وَلْتَدْعُ لَهْ ... مَن ذَا الَّذِي مِنَّا الْعَلِيمُ كَمَّلَهْ

إِلَّا الَّذِي بِوَحْيِهِ قَدْ أَكْرَمَهْ ... فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ عَصَمَهْ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ... نَوْرٌ تَفَتَّحَ وَمَا وَدْقٌ هَمَىٰ

وَوَاجِبٌ أَن تَخْفِضَ الْجَنَاحَا ... لِلشَّيْخِ كَيْ تَدَّرِعَ الْفَلَاحَا

وَقُلْ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ... لِخَلَفِ الْأَحْمَرِ قَوْلاً يُحْمَدُ

وَهُوَ « لَا أَقْعُدُ إِلَّا بَيْنَا ... يَدَيْكَ يَا شَيْخُ كَذَا أُمِرْنَا »

أَيْ بِالتَّوَاضُعِ لِمَنْ عَلَّمَنَا ... وَبِكَرِيمِ الْقَوْلِ قَدْ أَدَّبَنَا

وَشَاوِرَنْهُ فِي الْأُمُورِ، وَلْتَرُمْ ... رِضَاهُ، وَاسْتَرْشِدْهُ دَوْمًا، وَلْتَقُمْ

بَيْنَ يَدَيْهِ سَائِلاً عَنْ حَاجَتِهْ ... مُسَارِعًا إِلَىٰ قَضَاءِ طِلْبَتِهْ

وَإِن يُشِرْ عَلَيْكَ أَن تَتَّبِعَا ... طَرِيقَةً فِي الْعِلْمِ كَيْ تَنتَفِعَا

بِهَا فَلَبِّ وَاشْكُرَنْ صَنِيعَهُ ... فَالْكَيْسُ كُلُّ الْكَيْسِ أَنْ تُطِيعَهُ

وَانقَدْ لَهُ انقِيَادَ مُوسَىٰ لِلْخَضِرْ ... عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَا قَوْلٌ سُطِرْ

وَلْيَكُنِ الْخِطَابُ بِالتَّعْظِيمِ ... مُقْتَرِنًا دَوْمًا وَبِالتَّكْرِيمِ

فَلَا تُخَاطِبْهُ بِتَا الْخِطَابِ ... وَالْكَافِ وَاحْرِصَنْ عَلَى الْآدَابِ

أَيْ لَا تَقُلْ: إِنَّكَ، أَوْ أَنتَ، وَلَا ... اِسْمَعْ، وَقُلْ، لَاسِيَّمَا بَيْنَ الْمَلَا

وَقُلْ لَهُ كَمَا حَكَى الْخَطِيبُ ... يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ وَالْأَرِيبُ

٥٣٠

أَوْ مَا تَقُولُونَ بِتِلْكَ الْمَسْأَلَهْ ... فَإِنَّ هَذَا أَدَبٌ مَا أَجْمَلَهْ

وَالرَّفْعَ لِلصَّوْتِ احْذَرَنْ بِحَضْرَتِهْ ... فَقَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِنَفْرَتِهْ ٥٤٠

وَبَادِرَنْ بِالِاعْتِذَارِ إِن بَدَرْ ... مِنكَ قُصُورٌ نَحْوَهُ فَاحْرِصْ تَبَرّْ

وَذُبَّ عَنْهُ إِن سَمِعْتَ أَحَدَا ... يَغْتَابُهُ ، وَرُدَّ عَنْهُ الْفَنَدَا

وَدَارِهِ وَبَالِغَنْ فِي شُكْرِهِ ... وَلْتُفْشِ فِي النَّاسِ عَظِيمَ قَدْرِهِ

وَادْخُلْ عَلَيْهِ بَعْدَ الِاسْتِئْذَانِ ... مُرَاعِيًا لِحُرْمَةِ الْمَكَانِ

لَا تَدْخُلَنْ مُتَّسِخَ الثِّيَابِ ... أَوْ شَعِثًا كَهَيْئَةِ الْأَعْرَابِ

وَلْتَأْتِ فَارِغًا مِنَ الشَّوَاغِلِ ... مِنْ أَجْلِ فَهْمِ دُرَرِ الْمَسَائِلِ

وَدَعْ - بُنَيَّ - مَا يُنَافِي الْأَدَبَا ... فِي دَرْسِهِ كَوَسَنٍ وَالثُّؤَبَا

لَا تُضْجِرِ الشَّيْخَ وَكُن فِي الطَّلَبِ ... مِثْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفِيعَ الْأَدَبِ

عَلَيْهِ رِضْوَانُ الْمُهَيْمِنِ الْأَحَدْ ... مَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَمَا الْغَيْمُ انْعَقَدْ

وَاجْلِسْ أَمَامَهُ بِأَكْمَلِ الْأَدَبْ ... مُسْتَمِعًا فِي رَغَبٍ وَفِي رَهَبْ ٥٥٠

لَا تُكْثِرِ التَّحْدِيقَ وَالتَّلَفُّتَا ... وَلَا تُرَاقِبْ خَارِجًا أَوْمَنْ أَتَىٰ

وَاسْتَجْمِعِ الْعَقْلَ لِفَهْمِ الدَّرْسِ ... وَلَا تُفَكِّرْ فِي غَدٍ أَوْ أَمْسِ

إِنَّ شَرُودَ الْبَالِ لَا يَنتَفِعُ ... بِعِلْمِ شَيْخِهِ وَلَا يَسْتَمْتِعُ

وَاحْذَرْ مِنَ الْعَبَثِ بِالثِّيَابِ ... وَمَا يُنَافِي مَسْلَكَ الْآدَابِ

كَعَبَثٍ بِلِحْيَةٍ وَالْأَنفِ … وَالنَّفْضِ لِلْكُمِّ وَفَرْكِ الْكَفِّ

وَقَرْعِ سِنٍّ ثُمَّ مَدِّ الرِّجْلِ … تُجَاهَهُ وَضَحِكٍ وَالتَّفْلِ

وَالِامْتِخَاطَ احْذَرْهُ وَالتَّنَحْنُحَا … بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ كَذَا أَن تُصْلِحَا

مَا مِنْهُ يَسْتَحْيِي أُولُو الْمَكَارِمِ … مِن كُلِّ خَارِمٍ مِنَ الْخَوَارِمِ

وَاخْرُجْ مِنَ الدَّرْسِ إِذَا مَا احْتَجْتَا … مِنْهَا لِشَيْءٍ ، فَإِنِ اسْتَأْذَنْتَا

لَا تَجْعَلِ الشَّيْخَ وَرَاءَ ظَهْرِكَا … فَإِنَّ ذَا مُنتَقِصٌ مِن قَدْرِكَا ٥٦٠

لَا تَجْعَلَنْ يَدَيْكَ خَلْفَكَ وَلَا … إِزَاءَ جَنْبَيْكَ وَعِشْ مُمْتَثِلَا

لِهَدْيِ مَنْ أَنقَذَنَا بِشِرْعَتِهْ … إِلَـٰهُنَا وَبِاتِّبَاعِ سُنَّتِهْ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا تَنَفَّسَا … صُبْحٌ وَمَا اللَّيْلُ الْبَهِيمُ عَسْعَسَا

وَالِاتِّكَاءَ احْذَرْ وَالِاسْتِلْقَاءَا … وَالِاسْتِنَادَ دَعْ وَالِاحْتِبَاءَا

كَذَلِكَ التَّشْبِيكُ بِالْأَصَابِعِ … وَلَا تُقَاطِعْهُ وَلَا تُنَازِعِ

وَلْتَحْتَرِزْ مِن كُلِّ مَا قَدْ يُغْضِبُهْ … وَاحْرِصْ عَلَىٰ كُلِّ جَمِيلٍ يُعْجِبُهْ

* * *

وَخَمِّرَنْ وَجْهَكَ إِن عَطَسْتَا … مَعْ خَفْضِكَ الصَّوْتَ ، وَأَنَّىٰ كُنتَا

فَاحْرِصْ -فَدَيْتُكَ- عَلَىٰ ذَا الْأَدَبِ … وَاكْظِمْ لَدَىٰ تَثَاؤُبٍ، وَلْتَدْأَبِ

عَلَىٰ التَّقَيُّدِ بِأَنْوَاعِ السُّنَنْ … وَلْتَحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ فَيْضِ الْمِنَنْ

وَسَلِّمَنْ عَلَىٰ الْحُضُورِ كُلِّهِمْ … إِذَا دَخَلْتَ وَاخْصُصَنْ مِنْ بَيْنِهِمْ ٥٧٠

شَيْخَكَ بِالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّهْ ... لِمَا لَهُ مِن رُتْبَةٍ عَلِيَّهْ

وَلَا تُحَدِّثْ أَحَداً بِحَضْرَتِهْ ... فَإِنَّ هَذَا سَبَبٌ لِجَفْوَتِهْ

وَجَانِبِ السَّبْقَ إِلَى الْجَوَابِ ... وَلَا تُجَادِلْهُ لَدَى الْخِطَابِ

وَلَا تُرَدِّدْ مَا يَقُولُ، وَاحْذَرِ ... إِظْهَارَ عِلْمِكَ بِهِ وَانتَظِرِ

إِكْمَالَهُ الْحَدِيثَ دُونَ ضَجَرِ ... فَإِن تَضَجَّرْتَ لِذَا فَاسْتَغْفِرِ

وَلَا تُخَطِّئْهُ لَدَى الطُّلَّابِ ... وَاكْتُبْ لَهُ الصَّوَابَ فِي خِطَابِ

مُضَمَّخاً بِعَاطِرِ الثَّنَاءِ ... تَكُنْ بِذَاكَ ظَاهِرَ الْوَفَاءِ

وَاسْمَعْ كَلَامَ اللُّؤْلُئِيِّ إِذْ نَظَمْ ... مِنَ الْعِظَاتِ مَا بِهِ بُرْءُ السَّقَمْ

{ وَإِنْ بَدَتْ بَيْنَ أُنَاسٍ مَسْأَلَهْ ... مَعْرُوفَةٌ فِي الْعِلْمِ أَوْ مُفْتَعَلَهْ

فَلَا تَكُنْ إِلَى الْجَوَابِ سَابِقَا ... حَتَّى تَرَى غَيْرَكَ فِيهَا نَاطِقَا ٥٨

فَكَمْ رَأَيْتُ مِنْ عَجُولٍ سَابِقِ ... مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ بِالْخَطَاءِ نَاطِقِ

أَزْرَى بِهِ ذَلِكَ فِي الْمَجَالِسِ ... عِندَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالتَّنَافُسِ

وَالصَّمْتُ فَاعْلَمْ بِكَ حَقّاً أَزْيَنُ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عِندَكَ عِلْمٌ مُتْقَنُ

وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الْأَمْرُ ... مَا لِي بِمَا تَسْأَلُ عَنْهُ خُبْرُ

فَذَاكَ شَطْرُ الْعِلْمِ عِندَ الْعُلَمَا ... كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُولُ الْحُكَمَا

إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ بِفَضْلِ رَأْيِكَا ... وَاحْذَرْ جَوَابَ الْقَوْلِ مِنْ خِطَائِكَا

كَمْ مِن جَوَابٍ أَعْقَبَ النَّدَامَهْ ... فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلَامَهْ }

وَهَـٰذِهِ الْآدَابُ لَيْسَتْ تُلْتَمَسْ ... إِلَّا مِنَ الشَّيْخِ فَمِنْهُ يُقْتَبَسْ

اَلْهَدْيُ وَالسَّمْتُ وَالِاقْتِدَاءُ ... وَالْمَنْهَجُ الْمُسَدَّدُ الْبَنَّاءُ

فَأَدِّ مَا تَسْطِيعُ مِنْ حُقُوقِهِ ... وَلْتَحْتَرِسْ ـ بُنَيَّ ـ مِنْ عُقُوقِهِ ٥٩٠

وَلْتَمْشِ خَلْفَهُ وَقَدِّمْ نَعْلَهُ ... إِلَيْهِ تَقْدِيرًا لَهُ، وَاحْمِلْ لَهُ

حَاجَتَهُ إِلَّا إِذَا مَا امْتَنَعَا ... فَأَرْضِهِ مُرَدِّدًا لَهُ الدُّعَا

وَبَعْدَ مَوْتِهِ تَعَاهَدْ أَهْلَهُ ... بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، ثُمَّ كُن لَهُ

خَلِيفَةً فِي نَشْرِكَ الْعِلْمَ وَلَا ... تَبْغِ بِذَاكَ مَا حَيِيتَ بَدَلَا

وَكُلُّ مَن بِذَا السُّلُوكِ الْتَزَمَا ... يُسْلَكُ حَقًّا فِي عِدَادِ الْعُلَمَا

إِن بَيْنَ عِلْمِهِمْ وَهَدْيِهِمْ جَمَعْ ... وَهْوَ طَرِيقُ السَّالِفِينَ الْمُتَّبَعْ

مَن قَالَ عَنْهُمْ شَيْخُنَا عَدُّودُ ... لَا زَالَ مِن مَعِينِهِ يَجُودُ

بِدُرَرٍ مِن نَظْمِهِ الَّذْ يُبْدِعُهْ ... وَمِنْ خَزَائِنِ الْبَيَانِ يُطْلِعُهْ

{ رَبِّي ابْنَ مَسْعُودٍ مُقِيمُ الْمِلَّهْ ... فَكَانَ يَحْكِي هَدْيَهُ وَدَلَّهْ

وَكَانَ عَلْقَمَةُ لِابْنِ أُمِّ ... عَبْدٍ كَهَـٰذَا لِلنَّبِيِّ الْأُمِّي ٦٠٠

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَحْكِي عَلْقَمَهْ ... وَاهًا لَهُ مِنْ نَسَبٍ مَا أَكْرَمَهْ

وَكَانَ مَنصُورٌ لِإِبْرَاهِيمَا ... كَذَاكَ يَحْكِي هَدْيَهُ الْقَوِيمَا

وَكَانَ سُفْيَانُ بِلَا قُصُورِ   مُشَبَّهاً بِشَيْخِهِ مَنصُورِ
وَهَكَذَا أَيْضًا وَكِيعٌ كَانَا   مُشَبَّهاً بِشَيْخِهِ سُفْيَانَا
وَكَانَ أَحْمَدُ لَدَىٰ الْجَمِيعِ   مُشَبَّهاً بِشَيْخِهِ وَكِيعِ
كَذَا أَبُو دَاوُدَ عِندَ الْكُمَّلِ   مُشَبَّهاً بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلِ
حَشَرَنَا اللهُ مَعَ الْجَمِيعِ   تَحْتَ لِوَاءِ أَحْمَدَ الشَّفِيعِ
صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ   أَصْحَابِهِ وَآلِهِ اللهُ عَلَا }

الـفَصْلُ الثَّـانِي

فِي ذِكْـرِ أَهَـمِّ آدَابِ الطَّالِبِ فِي نَـفْسِهِ وَأَهَـمِّ الآدَابِ الَّـتِي يَـتَعَامَلُ بِـهَا الطُّلَّابُ بيْـنَـهُمْ

وَفِـيهِ مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: فِي ذِكْـرِ أَهَـمِّ آدَابِ الطَّالِبِ فِي نَـفْسِهِ:

يَا طَالِبَ الْـعِلْمِ ابْـتِغَاءَ الْخَالِقِ ... دَعْ مَا يُـنَافِـيهِ مِنَ الْـبَوَائِـقِ

وَسَائِـرِ الْآثَـامِ وَالْـمَعَاصِي ... فَالـنُّورُ لَا يُـؤْتَـاهُ قَلْبُ الْعَاصِي (٢١٠)

وَأَخْـلِصِ الـنِّـيَّـةَ لِلـرَّحْمَـٰنِ ... فَـإِنَّـهَا مِنْ أَعْظَمِ الْـقُـرْبَـانِ

فَـ« إِنَّـمَا الْأَعْمَالُ بِالـنِّيَّاتِ » ... كَـمَا أَتَىٰ فِي كُتُـبِ الْأَثْـبَاتِ

عَنِ الـنَّبِيِّ الْـخَاتَـمِ الْمُخْـتَارِ ... صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَـيْهِ الْـبَارِي

وَطَـهِّرَنْ قَلْـبَكَ مِن دَاءِ الْـحَسَدْ ... وَدَاوِهِ دَوْماً بِحُسْنِ الْـمُعْـتَقَدْ

فَبِصَلَاحِ الْـقَلْبِ يَصْلُحُ الْجَسَدْ ... عَنْ خَاتَـمِ الرُّسْلِ الْـكِرَامِ قَدْ وَرَدْ

وَامْـتَـثَلَـتْـهُ سَائِـرُ الْـجَوَارِحِ ... وَتِلْكُمُ مِنْ أَعْظَمِ الْـمَنَائِـحِ

عَلَـيْكَ بِالـصِّدْقِ وَبِـالـتَّوَاضُعِ ... وَالـزُّهْدِ فِي بَـهَارِجِ الْمَطَامِعِ

وَلْـتَـتَـحَلَّ يَـا بُـنَيَّ بِالْـوَرَعْ ... فَـلَيْسَ مِـثْـلَـهُ عِـلَاجٌ لِلطَّمَعْ

وَاعْصِ الْـهَوَىٰ فَإِنَّـهُ لِلطَّالِـبِ ... مَزَلَّـةٌ لِأَكْـثَـرِ الْـمَثَالِـبِ

وَلْيَكُ صَدْرُكَ سَلِيمًا وَاحْتَـرِسْ ... مِنَ اللِّسَانِ فَـهْـوَ غَدَّارٌ دَنِـسْ (٢٢٠)

إِلَّا إِذَا أَلْجَمْتَهُ بِالْوَرَعِ ... وَالْخَوْفِ مِن مَوْلَاكَ يَوْمَ الْفَزَعِ ٢٢٠

تَاللهِ قَدْ أَوْرَدَنَا الْمَهَالِكَا ... حَتَّىٰ سَلَكْنَا سُبْلَهَا الْحَوَالِكَا

يَارَبِّ سَلِّمْنَا مِنَ الْجَوَارِحِ ... وَعَافِنَا مِن كُلِّ إِثْمٍ فَادِحِ

وَاجْتَنِبِ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَا ... إِلَّا لِدَحْضِ بَاطِلٍ قَدْ صَالَا

بِهِ مُعَانِدٌ، فَبَيِّنِ الدَّخَلْ ... وَأَظْهِرِ الزَّيْفَ، وَوَضِّحِ الْخَلَلْ

تَحَلَّ يَا بُنَيَّ بِالْإِنصَافِ ... فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْصَافِ

وَفِي الرُّجُوعِ يَا فَتَىٰ لِلْحَقِّ ... نَيْلُ رِضَا الْخَالِقِ ثُمَّ الْخَلْقِ

تَجَمَّلَنْ بِالْهَدْيِ وَالسَّمْتِ الْحَسَنْ ... مُحَافِظًا عَلَىٰ شَعَائِرِ السُّنَنْ

فِي مَطْعَمٍ، وَمَشْرَبٍ، وَمَلْبَسِ ... وَمَرْكَبٍ، وَ بِالنَّبِيِّ فَأْتَسِ

فِي كُلِّ مَا تَأْتِي وَكُلِّ مَا تَذَرْ ... صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا الْغَيْثُ انهَمَرْ ٢٣٠

تَكُن بِذَا فِي عَارِفِيكَ مُقْتَدَىٰ ... بِهِ، وَدَاعِيًا إِلَىٰ نَهْجِ الْهُدَىٰ

المَطْلَبُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ الْآدَابِ الَّتِي يَتَعَامَلُ بِهَا الطُّلَّابُ بَيْنَهُمْ

سَلِّمْ - بُنَيَّ - إِن دَخَلْتَ ، وَارْفَعَا صَوْتَكَ بِالسَّلَامِ حَتَّىٰ يُسْمَعَا

وَالشَّيْخَ فَالْتَخْصُصْهُ بِالتَّوْقِيرِ كَمَا مَضَىٰ ؛ لِحَقِّهِ الْكَبِيرِ

كَ«كَيْفَ حَالُ شَيْخِنَا» وَ« أَمْتَعَا بِكُمْ إِلَـٰهِي الطَّالِبِينَ » مُسْمِعَا

هَـٰذَا الْكَلَامَ الْحَاضِرِينَ وَلْتَذَرْ ذَلِكَ فِي الدَّرْسِ فَفِعْلُهُ هَذَرْ

وَلْتَجْتَنِبْ تَخَطِّيَ الرِّقَابِ إِلَّا لِمُقْتَنِعٍ مِنَ الْأَسْبَابِ

كَأَن تَكُونَ نَابِغًا فِي الطَّلَبِ وَقَالَ شَيْخُكَ اقْتَرِبْ فَاقْتَرِبِ

وَاحْذَرْ -بُنَيَّ- أَن تُقِيمَ مَن سَبَقْ لِمَجْلِسٍ ، فَإِنَّهُ بِهِ أَحَقْ

فَالنَّهْيُ عَنْ هَـٰذَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرْ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ تَلَقَّتْهُ الزُّمَرْ

وَكَوْنُهُ بِهِ أَحَقَّ مُسْنَدُ فِي مُسْلِمٍ إِلَىٰ ابْنِ صَخْرٍ يَصْعَدُ

لَا تَقْبَلَنْ إِيثَارَهُ إِنْ آثَرَكْ إِلَّا إِذَا الشَّيْخُ بِذَا قَدْ أَمَرَكْ

إِمَّا لِفَضْلٍ فِيكَ أَوْ لِسِنِّكَا أَوْ لِانْتِفَاعٍ -يَافَتَىٰ- بِعِلْمِكَا

وَاجْتَنِبِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ لِنَهْيِ مَن قَدْ خُصَّ بِالْوَحْيَيْنِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا بَرْقٌ لَمَعْ فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ وَمَا نُورٌ سَطَعْ

فَإِنْ هُمَا قَدْ أَذِنَا فَلَا حَرَجْ فَصَاحِبُ الْحَقِّ قَرِينٌ لِلْفَلَجْ

وَكُن مُعِينًا لِـزَمِيـلِ الطَّلَبِ   إن كَانَ ذَا حِرْصٍ ، وَمِنْهُ اقْتَرِبِ

★ ★ ★

وَإن تَكُـن مَعْ رُفَقَاءَ فِي الطَّلَبْ   فَاجْتَمِعُوا فِي جِهَةٍ فَهْوَ أَحَبّْ

إِلَىٰ فُؤَادِ الشَّيْخِ حَيْثُ يَرْمُقُ   إِلَيْكُمُ ، وَبَيْنَكُمْ لَا يَفْرُقُ

وَلَا يَخُصُّ أَحَدًا دُونَ أَحَدْ   فَلْتَظْفَرُوا بِذَا الْجِوَارِ وَالرَّشَدْ

فَغَيْرُكُمْ فِي التِّيهِ يَمْرَحُونَا   وَفِي بِحَارِ الْجَهْلِ يَسْبَحُونَا   ٢٥٠

وَإِنَّ مِنْ حَقِّ رِفَاقِ الطَّلَبِ   تَوْقِيرَهُمْ وَنُصْحَهُمْ فِي أَدَبِ

مُرَاعِيًا مَكَانَةَ الْأَقْرَانِ   وَرُفَقَاءِ الدَّرْبِ وَالزَّمَانِ

وَوَسْطَ الْحَلْقَةِ لَا تَجْلِسْ ، وَلَا   تَقْعُدْ أَمَامَ جَالِسٍ بِهَا بِلَا

ضَرُورَةٍ تَنجُمُ كَالزِّحَامِ ، أَوْ   ضِيقِ مَكَانٍ ، أَوْ لِزُوَّارٍ أَتَوْا

وَإِن رَأَيْتَ طَالِبًا مُغْتَرِبًا   فَابْتَدِرْنَهُ قَائِلاً يَا مَرْحَبَا

بِمَنْ أَتَىٰ يَطْلُبُهُ مُبْتَغِيَا   وَجْهَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا قَدْ خَفِيَا

وَإِن يَكُونُوا عَدَدًا فَوَسِّعُوا   بِمَجْلِسِ الدَّرْسِ لَهُمْ ، وَجَمِّعُوا

أَعْضَاءَكُمْ كَمِثْلِ ضَمِّ الرُّكَبِ   وَقَدَمٍ لِأُخْتِهَا ، وَاقْتَرِبِ

مِن جَارِكَ الْأَدْنَىٰ إِلَىٰ الْيَمِينِ   أَوِ الشِّمَالِ فُزْتَ بِالْيَقِينِ

وَكُن وَقُورًا وَاحْتَرِزْ مِن كُلِّ مَا   يُؤْذِي الْجَلِيسَ كَيْ تُرَىٰ مُحْتَرَمَا   ٢٦٠

وَلَا تَكُن مِثْلَ الْبَعِيرِ الْأَجْرَبِ   أَوْ ضُحْكَةً تُنمَىٰ لِجِيلٍ أَشْعَبِ

لَا تَشْغَلِ الشَّيْخَ بِمَا لَا يَحْسُنُ ... فِي الدَّرْسِ ؛ فَهْوَ عَمَلٌ مُسْتَهْجَنُ

كَمَن يُنَادِي أَحَدًا فِي الدَّرْسِ ... أَوْ يَشْغَلُ الشَّيْخَ بِدَرْسِ الْأَمْسِ

وَكُلُّ مُولَعٍ بِحُبِّ الثَّرْثَرَهْ ... فَهْوَ حَرِيٌّ يَا فَتَىٰ أَن تَحْقِرَهْ

وَالدَّرْسُ لَا يُقْطَعُ بِالسَّفْسَافِ ... فَكُنْ بِهِ مُوَطَّأَ الْأَكْنَافِ

{فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبْ ... وَالْعِلْمُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِالْأَدَبْ

وَالْأَدَبُ النَّافِعُ حُسْنُ السَّمْتِ ... وَفِي كَثِيرِ الْقَوْلِ بَعْضُ الْمَقْتِ}

نَظَمَ هَذَا اللُّؤْلُئِيُّ فَادْعُوَنْ ... لَهُ ، وَلِلْأَعْلَامِ فِي كُلِّ زَمَنْ

وَلَا تَقُمْ بِأَيِّ أَمْرٍ دُونَ أَنْ ... تَسْتَأْذِنَ الشَّيْخَ فَكُنْ بِذَا قَمَنْ

وَإِن تَعَدَّىٰ فِي الْخِصَامِ طَالِبُ ... عَلَىٰ أَخِيهِ -يَا فَتَىٰ- فَالْوَاجِبُ ٢٧٠

إِسْنَادُ زَجْرِهِ إِلَى الشَّيْخِ فَمَا ... يَرَاهُ كَانَ لِلْجَمِيعِ مُلْزِمَا

وَإِنْ إِلَى الشَّيْخِ أَسَاءَ الْأَدَبَا ... فَرْدٌ فَزَجْرُهُ يَقِينًا وَجَبَا

فَنُصْرَةُ الشَّيْخِ بِلَا ارْتِيَابِ ... وَاجِبَةٌ حَتْمًا عَلَى الطُّلَّابِ

وَإِن قَصَدْتَ مَجْلِسَ الشَّيْخِ فَلَا ... تَقَدَّمَنْ عَلَىٰ سِوَاكَ ، وَابْذُلَا

حَقَّكَ فِي النَّوْبَةِ لِلْغَرِيبِ ... إِذْ جَاءَ مَنقُولًا عَنِ الْخَطِيبِ

وَفِيهِ قَوْلُ الْمُصْطَفَىٰ لِلثَّقَفِي ... مُؤَدِّبًا ، وَهْوَ بِنَا خَيْرُ حَفِي

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا جَنَّ الدُّجَىٰ ... وَمَا اسْتَفَاقَ مِن ضَلَالٍ ذُو حِجَا

كَذَاكَ ذُو الْحَاجَةِ أَوْ مَن قَدَّمَهْ ... شَيْخُكَ ؛ فَالْوَاجِبُ أَن تُقَدِّمَهْ

إِن لَمْ يَكُن مِن ذَٰلِكُمْ شَيْءٌ فَلَا ... تُؤْثِرْ سِوَاكَ يَا فَتَىٰ إِذْ نُقِلَا

كَرَاهَةُ الْإِيثَارِ فِي كُلِّ عَمَلْ ... يَرْجُو بِهِ الْمَرْءُ ثَوَابَ اللهِ جَلّْ ٢٨٠

وَإِنْ أَتَتْ نَوْبَةُ شَخْصٍ يَحْسُنُ ... شُرُوعُهُ فِي الْعَرْضِ حِينَ يَأْذَنُ

لَهُ بِذَاكَ الشَّيْخُ وَلْيَبْدَأْ بِمَا ... يُشْرَعُ فِي الْخِطَابِ عِندَ الْعُلَمَا

مِنْ حَمْدِ رَبِّنَا عَلَىٰ الْإِنْعَامِ ... وَالْعَطْفِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

عَلَىٰ الرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ ، وَإِن دَعَا ... فَحَسَنٌ ، أَجْمِلْ بِذَٰلِكَ الدُّعَا

وَلْيُحْضِرِ الطَّالِبُ سِفْرَهُ مَعَهْ ... وَلَا يَلِيقُ أَبَدًا أَن يَضَعَهْ

فَوْقَ الْبِسَاطِ وَهْوَ مفْتُوحٌ ، وَلَا ... يَقْلِبُهُ فَذَا سُلُوكٌ حُظِلَا

وَاسْتَأْذِنِ الشَّيْخَ وَبَعْدَ الْإِذْنِ ... اِقْرَأْ بِصَوْتٍ بَيِّنٍ وَاسْتَأْنِ

مِنْ أَجْلِ أَن يُفْهَمَ عَنكَ ، وَاجْتَنِبْ ... هَٰذَا إِذَا الشَّيْخُ لِمَحْظُورٍ غَضِبْ

أَوْ مَلَلٌ أَصَابَهُ أَوْ غَمٌّ ... أَوِ اعْتَرَاهُ تَعَبٌ أَوْ هَمٌّ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي نَفْسِهِ، وَمَعَ طُلَّابِهِ، وَفِي دَرْسِهِ

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ مَطَالِبَ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي نَفْسِهِ، وَبَعْضُهَا يَشْتَرِكُ مَعَهُ الطُّلَّابُ فِيهَا.

لَا رَيْبَ أَنَّ الشَّيْخَ قُدْوَةٌ لِمَنْ ... يَأْخُذُ عَنْهُ فَلْيَكُنْ حِلْسَ السُّنَنْ (٦٩٠)

وَلْيَتَّقِ اللهَ عَلَىٰ الدَّوَامِ ... مُسْتَحْضِرًا رَقَابَةَ الْعَلَّامِ

فَإِنَّهُ عَلَىٰ الْعُلُومِ مُؤْتَمَنْ ... وَبِالَّذِي اسْتَرْعَاهُ رَبُّهُ قَمَنْ

إِن يَتَّصِفْ بِالزُّهْدِ وَالْخُضُوعِ ... لِلَّهِ وَالْوَقَارِ وَالْخُشُوعِ

وَبِالسَّكِينَةِ مَعَ التَّوَاضُعِ ... وَالْحِلْمِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَطَامِعِ

وَلْيَمْتَثِلْ مَا قَالَهُ الْإِمَامُ ... مَالِكٌ ؒ الْمُبَجَّلُ الْهُمَامُ

فِي نُصْحِهِ الْأَسْمَىٰ إِلَىٰ الرَّشِيدِ ... هَارُونَ ذِي التَّصَرُّفِ السَّدِيدِ

قَالَ لَهُ: إِذَا عَلِمْتَ فَلْتَكُنْ ... مُتَّصِفاً بِالْحِلْمِ وَالسَّمْتِ الْحَسَنْ

وَلْيُرَ - يَا هَذَا - عَظِيمُ الْأَثَرْ ... عَلَيْكَ وَالْبُعْدُ عَنِ التَّكَبُّرْ

لِقَوْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ: إِنَّ الْعُلَمَا ... وُرَّاثُ الْأَنْبِيَاءِ حَقًّا فَاعْلَمَا

وَقَدْ مَضَىٰ فِي أَوَّلِ الْبَابَيْنِ فِي ... فَضْلِ أُولِي الْعِلْمِ بِتَخْرِيجٍ يَفِي (٧٠٠)

بِالْقَصْدِ، وَهْوَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ... عُوَيْمِرٍ ذِي الزُّهْدِ وَالْإِبَاءِ

وَالِاخْتِلَافُ فِي قَبُولِهِ نُقِلْ ... وَلَيْسَ عَن مَرْتَبَةِ الْحُسْنِ يَقِلْ

وَلْيَعْلَمِ الْعَالِمُ أَنَّ الْعِلْمَ مَا ... حُصِّلَ نَفْعُهُ، فَكُن مُعَظِّمَا

لَهُ، وَلَا تُهِنْهُ بِالذَّهَابِ ... إِلَىٰ عَبِيدِ الْمَالِ وَالْأَلْقَابِ

لَا يُحْمَلُ الْعِلْمُ إِلَىٰ بَيْتِ أَحَدْ ... فَالْعِلْمُ يُؤْتَىٰ فَأْتِهِ يَا ذَا الرَّشَدْ

وَإِن يَكُ الذَّهَابُ مِن شَيْخٍ إِلَىٰ ... آخَرَ فَهْوَ سَائِغٌ، إِذْ نُقِلَا

عَنِ ابْنِ سَلَّامٍ بِأَنَّهُ رَحَلْ ... مِنْ أَجْلِ إِسْمَاعِ عَلِيٍّ إِذْ نَقَلْ

عَنْهُ الْغَرِيبَ، وَعَلِيٌّ إِنْ ذُكِرْ ... فَهْوَ الْمَدِينِيُّ الْإِمَامُ الْمُشْتَهِرْ

كَذَٰلِكَ الثَّوْرِيُّ كَانَ يَذْهَبُ ... إِلَى ابْنِ أَدْهَمَ، وَهَٰذَا أَعْجَبُ

يَقْصِدُهُ الثَّوْرِيُّ، وَهْوَ أَعْلَمُ ... مِنْهُ وَبَحْرٌ حَافِظٌ مُقَدَّمُ ٧١٠

وَلْيَكُنِ الْعَالِمُ جِدَّ مُتَّقِ ... شُرُورَ ذِي الدُّنْيَا، شَدِيدَ الْفَرَقِ

مِن مُغْرِيَاتِهَا وَمِنْ حَبَائِلِ ... فِتْنَتِهَا وَسِحْرِهَا الْمُخَاتِلِ

وَالْأَصْلُ فِي مَتَاعِهَا التَّقَلُّلُ ... فَإِنَّهُ فَانٍ فَلَا يُعَوَّلُ

عَلَيْهِ، وَلْيَرْضَ بِمَا يَكْفِيهِ ... مِن دُونِ تَقْتِيرٍ عَلَىٰ ذَوِيهِ

لَاسِيَّمَا فِي هَٰذِهِ الْأَزْمَانِ ... بِهَا الْفَقِيرُ الدَّائِمُ الْحِرْمَانِ

يَرَىٰ بَنُوهُ مِنْ مَظَاهِرِ التَّرَفْ ... عِندَ سِوَاهُمْ مَا يُوَلِّدُ الْأَسَفْ

وَالْعَالِمُ الصَّادِقُ مَن لَمْ يَجْعَلِ ... الْعِلْمَ ضَرْبًا مِن ضُرُوبِ الْحِيَلِ

فَالْعِلْمُ لَا يُجْعَلُ سُلَّمًا إِلَىٰ ... مَالٍ وَجَاهٍ أَوْ تَقَدُّمٍ عَلَىٰ

مُنَافِسٍ وَلَا يَلِيقُ أن يُرَىٰ ... حَامِلُهُ يَهْوَىٰ الْجِدَالَ وَالْمِرَا

مَا أَجْدَرَ الْعَالِمَ بِالتَّجَرُّدِ ... فَإِنَّهُ عُنْوَانُ كُلِّ سُؤْدُدِ ٧٢٠

كَمِثْلِ حَالِ **الشَّافِعِيِّ** ذِي الْعُلَا ... قَالَ : وَدِدتُ أَنَّ هَـٰذَا الْعِلْمَ لَا

يُعْزَىٰ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدَا ... وَيَنفَعَ اللهُ بِهِ مَنْ أَسْعَدَا

مِنْ خَلْقِهِ، كَذَلِكُمْ بِالْعَمَلِ ... بِهِ، فَيَا لَلْعُلَمَاءِ الْكُمَّلِ

لَمْ يَلْهُ فِي النَّهَارِ بِالطَّعَامِ ... وَلَيْسَ فِي اللَّيْلِ مِنَ النُّوَّامِ

أَمْضَاهُمَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَهْ ... تِلْكَ حَيَاةُ الْقُدُوَاتِ السَّادَهْ

★ ★ ★

ثُمَّ عَلَىٰ الْعَالِمِ أن يُقِيمَا ... شَعَائِرَ الدِّينِ ، وَأَن يُدِيمَا

تَعْظِيمَهَا مَدَى الْحَيَاةِ آمِرًا ... وَنَاهِيًا ، مُحْتَسِبًا مُثَابِرًا

يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَلَا يُجَامِلُ ... وَعَنْ أَدَاءِ النُّصْحِ لَا يَثَّاقَلُ

وَلْيَدَّرِعْ بِالصَّبْرِ مَا عَاشَ ، وَهَلْ ... يَنفَعُ غَيْرُ الصَّبْرِ إِن شَرٌّ أَطَلّْ

فَالْأَنبِيَاءُ كُلُّهُمْ قَدْ صَبَرُوا ... وَذَاكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ يُذْكَرُ ٧٣٠

وَمِن صِفَاتِ الْعَالِمِ الْمُسَدَّدِ ... إِظْهَارُ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَمْجَدِ

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللهُ مَا ... غَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَىٰ أَيْكِ الْحِمَىٰ

كَذَاكَ مِن صِفَاتِهِ قَمْعُ الْبِدَعْ ... كَيْ يُعْبَدَ اللهُ بِمَا لَنَا شَرَعْ

وَالْعَالِمُ الْعَامِلُ ، بِالْعَزَائِمِ ... يَأْخُذُ نَفْسَهُ، وَبِالْمَكَارِمِ

يُلْزِمُهَا ، مُجْتَهِدًا فِي الْعَمَلِ ... بِعِلْمِهِ طِبْقَ السُّلُوكِ الْأَمْثَلِ

اَلْمُسْتَفَادِ مِن كِتَابِ اللهِ ... وَسِيرَةِ الْمُؤْتَمَنِ الْأَوَّاهِ

مُزَكِّيًا لِلنَّفْسِ بِالطَّاعَاتِ ... مَعَ اجْتِنَابِ سَائِرِ الْآفَاتِ

مُوَقِّرًا خَيْرَ الْوَرَىٰ وَصَحْبَهْ ... مُطَهِّرًا مِنَ الدَّنَايَا قَلْبَهْ

مُنَقِّيًا ظَاهِرَهُ مِن كُلِّ مَا ... يُزْرِي بِهِ ، يَخْشَى الرَّدَىٰ وَالْمَأْثَمَا

يُعَامِلُ النَّاسَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ... مِثْلِ الْبَشَاشَةِ وَلِينِ الْمَنطِقِ (٧٤٠)

يَبْذُلُ جَاهَهُ مَعَ الإِنْصَافِ ... مُتَّصِفاً بِأَجْمَلِ الْأَوْصَافِ

يُفْشِي السَّلَامَ ، يُطْعِمُ الطَّعَامَا ... وَيَصِلُ الْأَرْحَامَ وَالْيَتَامَىٰ

يُعَامِلُ الْفَقِيرَ بِالتَّلَطُّفِ ... مُجَانِبًا مَسْلَكَ أَهْلِ التَّرَفِ

فِي كَسْرِهِمْ قُلُوبَ أَهْلِ الْفَقْرِ ... إِمَّا بِالِاحْتِقَارِ أَوْ بِالْكِبْرِ

يَصِلُهُمْ مَا اسْطَاعَ بِالْإِنفَاقِ ... عَلَيْهِمُ يَرْجُو رِضَا الْخَلَّاقِ

وَكُلَّ قُرْبَةٍ إِلَى الرَّحْمَـٰنِ ... يَسْعَىٰ لِفِعْلِهَا بِكُلِّ آنِ

وَالْعُلَمَاءُ حُجَّةُ الْمَوْلَىٰ عَلَى الْـ.....عِبَادِ إِنْ هُمْ أَخْلَصُوا لَهُ الْعَمَلْ

وَقُدْوَةٌ لِسَائِرِ الْأَنَامِ ... إِلَيْهِمُ الْمَرْجِعُ فِي الْأَحْكَامِ

فَلْيَحْذَرِ الْعَالِمُ مِن زَلَّاتِهِ ... وَلْيَحْفَظِ اللِّسَانَ مِنْ آفَاتِهِ

بِزَلَّةِ الْعَالِمِ تَشْقَىٰ أُمَمُ ... وَيَسْتَطِيرُ شَرُّهَا وَيَعْظُمُ (٧٥٠)

فَالْعِلْمُ كُلُّ الْعِلْمِ مَا بِهِ انتَفَعْ أَرْبَابُهُ وَجَنَّبَ النَّاسَ الْبِدَعْ

فَلَا يَلِيقُ بِذَوِي الْعِلْمِ الْبَطَرْ وَالِاتِّصَافُ بِالرِّيَاءِ وَالْوَحَرْ

وَالِاشْتِغَالُ بِعُيُوبِ الْخَلْقِ وَكُلِّ مَا يَخْدِشُ وَجْهَ الْحَقِّ

وَلْيَحْذَرِ الْعَالِمُ مِن دَاءِ الْهَوَىٰ فَمَا أَصَابَ عَالِمًا إِلَّا هَوَىٰ

وَلْيَنْأَ بِالنَّفْسِ عَنِ التَّعَصُّبِ لِعَالِمٍ مُعْتَبَرٍ أَوْ مَذْهَبِ

وَلْيُعْنَ مَا أَمْكَنَ بِالرَّقَائِقِ فَهْيَ عِلَاجُ الْقَلْبِ بِالْحَقَائِقِ

مِنْ آيَةٍ تُتْلَىٰ وَنَصٍّ صَادِقِ وَقِصَّةٍ تُدْمِعُ عَيْنَ الصَّادِقِ

وَلْيَتْلُ آيَ اللَّهِ فِي الْأَسْحَارِ مَعْ حِرْصِهِ دَوْمًا عَلَى الْأَذْكَارِ

بِـ« عَمَلِ الْيَوْمِ مَعَ اللَّيْلَةِ » قَدْ سُمِّيَ عِندَ السَّالِفِينَ ، وَاعْتَمَدْ

ذَلِكَ الِاسْمَ بَعْضُهُمْ كَذِي نَسَا وَبَعْدَهُ تِلْمِيذُهُ بِهِ ائْتَسَىٰ ٧٢٠

وَلْيَعْمُرِ الْأَوْقَاتَ بِالتَّصْنِيفِ فِي بَابٍ مُفِيدٍ دُونَمَا تَكَلُّفِ

وَلْيَكُ فِي تَصْنِيفِهِ مُحَقِّقَا وَلِلنُّقُولِ جَامِعًا مُوَثِّقَا

مُمَحِّصًا ، مُبَيِّنًا ، مُدَقِّقَا مُعْتَرِفاً بِسَبْقِ مَن قَدْ سَبَقَا

مُعْتَنِياً بِمَا يَعُمُّ النَّفْعُ بِهْ وَإِنْ عَرَتْهُ آفَةٌ فَلْيَنْتَبِهْ

فَرُبَّمَا أُصِيبَ بِالْغُرُورِ فَاقْتَادَهُ لِمَوْرِدِ الشُّرُورِ

وَلْيَقْفُ سُنَّةَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْوَفَا

وَالتَّابِعِينَ لَهُمُ وَمَن تَبِعْ   طَرِيقَهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ قَدْ شُرِعْ

كَابْنِ الْمُسَيِّبِ وَمَن قَدْ سَبَقَا   وَمَن بِهِمْ فِي كُلِّ جِيلٍ لَحِقَا

كَابْنِ الْمُبَارَكِ وَسُفْيَانَيْهِمُ   مَعَ الْبُخَارِيِّ وَحَمَّادَيْهِمُ

ثُمَّ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ   وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ الشَّيْبَانِي

وَقَدْ مَضَىٰ ذِكْرُ الْإِمَامِ الشَّافِعِي   ذِي الْعِلْمِ وَالشِّعْرِ الرَّقِيقِ الْمَاتِعِ

يَارَبِّ فَاجْمَعْنَا بِهِمْ فِي جَنَّتِكْ   وَنَجِّنَا مِنَ الرَّدَىٰ بِمِنَّتِكَ

٧٧٠

الْمَطْلَبُ الثَّانِي

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ فِي دَرْسِهِ

وَقَبْلَ عَقْدِ الدَّرْسِ تَصْحِيحُ النِّيَهْ ... فَكَمْ لَهَا مِنْ أَثَرٍ فِي التَّزْكِيَهْ

وَلْيَتَطَهَّرْ قَبْلَ بَدْءِ الدَّرْسِ ... مَعَ التَّطَيُّبِ وَحُسْنِ اللِّبْسِ

يَفْعَلُ هَـٰذَا مَالِكٌ مُوَقِّرَا ... حَدِيثَ خَيْرِ مُرْسَلٍ إِلَى الْوَرَىٰ

وَلْيَجْلِسِ الشَّيْخُ مَعَ الْوَقَارِ ... مُقْتَدِياً بِالْمُصْطَفَىٰ الْمُخْتَارِ

مُفْتَتِحاً بِحَمْدِ ذِي الْجَلَالِ ... مُقَدِّرِ الْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ

مُصَلِّيًا عَلَىٰ مَنِ اصْطَفَاهُ ... عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجْتَبَاهُ

وَلْيَتَرَضَّ عَنْ جَمِيعِ الْآلِ ... وَصَحْبِهِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

وَكُلُّ شَيْخٍ عَالِمٍ ذِي مَنزِلَهْ ... يَحْسُنُ عِندَ ذِكْرِهِ الدُّعَاءُ لَهْ

بِالْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ ... فَإِنَّ ذَٰلِكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ

وَلْيَكُ مَوْضِعُ الْجُلُوسِ بَارِزَا ... حَتَّىٰ يَكُونَ لِلْجَمِيعِ حَافِزَا

عَلَىٰ حُضُورِ الْقَلْبِ وَالتَّيَقُّظِ ... وَرَصْدِ كُلِّ نَائِمٍ أَوْ يَقِظِ

فَرُبَّمَا أَدَّىٰ اسْتِتَارُ الطَّالِبِ ... عَن نَظَرِ الشَّيْخِ إِلَىٰ التَّخَاطُبِ

مَعْ غَيْرِهِ أَوْ نَوْمِهِ أَوْ غَفْلَتِهْ ... وَذَا حُضُورُهُ كَمِثْلِ غَيْبَتِهْ

وَلْيَبْتَسِمْ فَإِنَّ الِابْتِسَامَا ... مِنْ هَدْيِ مَن قَدْ عَلَّمَ الْأَنَامَا

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ ذُو الْجَلَالِ ... مَا هَبَّتِ الْأَنسَامُ فِي الْآصَالِ

وَكَثْرَةُ الْمِزَاحِ مِمَّا يُرْغَبُ ... بِالشَّيْخِ عَنْهُ ، وَالْقَلِيلُ يُطْلَبُ

مِنْهُ ، فَإِن زَادَ عَنِ الْحَدِّ ذَهَبْ ... بِهَيْبَةِ الشَّيْخِ فَبِئْسَ الْمُنقَلَبْ

وَلَا يَكُن مُقَطِّبًا عَبُوسَا ... فَمَن رَآهُ ظَنَّهُ مَنْحُوسَا (٧٩٠)

وَإِن يَكُ الشَّيْخُ بِحَالَةِ الْغَضَبْ ... وَالْجُوعِ ، وَالْهَمِّ ، وَشِدَّةِ التَّعَبْ

أَوْ شِدَّةِ النُّعَاسِ ، فَلْيَجْتَنِبِ ... عَقْدَ الدُّرُوسِ لِفَوَاتِ الْأَرَبِ

فَرُبَّمَا جَاءَ بِقَوْلٍ فَاسِدِ ... وَلَمْ يَكُنْ إِيرَادُهُ بِقَاصِدِ

★ ★ ★

وَالْعَالِمُ الْحَصِيفُ مَن يُوَقِّرُ ... طُلَّابَهُ الْأَنبَاهَ مِمَّن ذُكِرُوا

بِالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَبِالتَّقَدُّمِ ... فِي السِّنِّ ، وَالْجَمِيعَ فَلْيَحْتَرِمِ

وَإِن يَقُمْ لِبَعْضِهِمْ تَكْرِيمَا ... فَحَسَنٌ مَا لَمْ يَكُنْ تَعْظِيمَا

وَالِالْتِفَاتُ مَعَ تَحْرِيكِ الْيَدِ ... يَحْسُنُ مَعْ قَصْدٍ بِهَذَا الْمَقْصَدِ

وَامْنَحْ جَمِيعَ الْحَاضِرِينَ حَظَّهُمْ ... مِن نَاظِرَيْكَ ، لَا تَخُصَّ بَعْضَهُمْ

وَبَعْضُهُمْ يَأْمُرُ قَبْلَ الِابْتِدَا ... بِالدَّرْسِ أَن يُقْرَأَ مِنْ آيِ الْهُدَىٰ

عِدَّةُ آيَاتٍ تَيَمُّنًا بِمَا ... أَنزَلَهُ اللهُ كِتَابًا مُحْكَمَا (٨٠٠)

وَبَعْدَ ذَا يَدْعُوا دُعَاءَ الْخَاشِعِ ... بِكُلِّ لَفْظٍ مُسْتَجَادٍ جَامِعِ

وَإِن تَعَدَّدَتْ دُرُوسٌ قُدِّمَا ... أَشْرَفُهَا وَهْوَ اخْتِيَارُ عُلَمَا

صَوَابُهُ ، وَاعْتَادَهُ الْأَوَائِلُ … وَاخْتَارَهُ أَشْيَاخُنَا الْأَمَاثِلُ

وَلْيَحْذَرِ الْإِمْلَالَ وَالْإِخْلَالَا … فِي الدَّرْسِ ، أَيْ يَقْصِدُ الِاعْتِدَالَا

فَمَنْ أَطَالَ دَرْسَهُ أَمَلَّا … كَذَا إِذَا أَوْجَزَهُ أَخَلَّا

وَيَنْبَغِي أَن يَجْعَلَ الصَّوْتَ عَلَىٰ … قَدْرِ احْتِيَاجِ الْحَاضِرِينَ ، ثُمَّ لَا

يَسْرُدْ كَلَامَهُ، وَبِالتَّمَهُّلِ … فَلْيُعْنَ وَهْوَ دَأْبُ خَيْرِ الرُّسُلِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا لَيْلٌ سَجَا … وَ مَا صَبَاحٌ بِالْفَلَاحِ انْبَلَجَا

وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بَعْدَ الِانْتِهَا … مِن مَبْحَثٍ يُصْغِي لِأَرْبَابِ النُّهَىٰ

مِنَ التَّلَامِيذِ لِكَيْ يَسْتَفْهِمُوا … عَنْ أَيِّ مُشْكِلٍ حَوَاهُ الْكَلِمُ ٢١٠

★ ★ ★

وَلْيَصُنِ الْمَجْلِسَ عَن قُبْحِ اللَّغَطْ … فَإِنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْغَلَطْ

وَلْيَضْبِطِ النِّقَاشَ وَالْجِدَالَا … وَلْيَمْنَعِ الْقِيلَ بِهِ وَالْقَالَا

وَلْيُرْشِدِ الطُّلَّابَ لِلتَّنَاصُحِ … وَالنَّبْذِ لِلشَّحْنَاءِ وَالتَّفَاضُحِ

مُحَذِّرًا مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجَدَلْ … لِيَبْتَغُوا بِالْعِلْمِ وَجْهَ اللهِ جَلّْ

وَلْيَتَّخِذْ لَهُ نَقِيبًا فَطِنَا … مُهَذَّبًا يُعِينُهُ مَا أَمْكَنَا

يُرَتِّبُ الطُّلَّابَ فِي الدُّخُولِ … مُرَاعِيًا ذَا الْفَضْلِ وَالْقَبُولِ

يَسْتَنْصِتُ الْحُضُورَ ، وَالنِّيَامَا … يُوقِظُهُمْ وَيَقْطَعُ الْخِصَامَا

وَالْعَقْدُ لِلدُّرُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ … يُغْنِيكَ يَا شَيْخُ عَنِ الْمُسَاعِدِ

لِمَا لَهَا مِنْ حُرْمَةٍ عَظِيمَهْ … وَقِيمَةٍ أَعْظِمْ بِهَا مِن قِيمَهْ

وَلْيُحْسِنِ الْإِنصَاتَ لِلسُّؤَالِ … مِن أَجْلِ أَنْ يَفْهَمَهُ فِي الْحَالِ (٧٢٠)

وَإِن يَكُن لَا يَعْلَمُ الْجَوَابَا … وَقَالَ: لَا أَدْرِي فَقَدْ أَجَابَا

وَقَدْ أَتَىٰ عَن بَعْضِ أَهْلِ الْفَهْمِ … مَن قَالَ: «لَا أَدْرِي» فَنِصْفُ الْعِلْمِ

لِذَا يَقُولُ شَيْخُنَا «عَدُّودُ» … مَنْ هُوَ فِي أَعْلَامِنَا مَعْدُودُ

قُبَيْلَ أَن يَشْرَعَ فِي الْجَوَابِ … مُرَبِّيًا نَوَابِغَ الطُّلَّابِ

الْعِلْمُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي يُقْسَمُ … حُسْنُ السُّؤَالِ يَا بَنِيَّ مِنكُمُ

نِصْفٌ، وَنِصْفُهُ لَدَيَّ وَهْوَ أَنْ … أَقُولَ: «لَا أَدْرِي» رُزِقْتُمُ الزَّكَنْ

وَلْيَتَوَدَّدْ لِلْغَرِيبِ إِنْ حَضَرْ … وَلَا يُضَايِقْهُ بِكَثْرَةِ النَّظَرْ

إِلَيْهِ فَالْقَادِمُ مِن بَعِيدِ … يَحْتَاجُ لِلرِّفْقِ وَلِلتَّسْدِيدِ

وَإِنَّ لِلْقَادِمِ دَهْشَةً تُرَىٰ … تُمَاطُ - لَا رَيْبَ - بِإِحْسَانِ الْقِرَىٰ

★ ★ ★

«وَاللَّهُ أَعْلَمُ» خِتَامٌ يُذْكَرُ … فِي آخِرِ الدَّرْسِ بِهِ يُذَكَّرُ (٧٣٠)

جَمِيعُ مَنْ جَاؤُوا إِلَىٰ الدَّرْسِ بِمَا … عَلَيْهِمُ الْمَوْلَىٰ تَعَالَىٰ أَنْعَمَا

مِن طَلَبِ الْعِلْمِ كَمَا قَدْ أَكْرَمَا … بِذَاكَ مِن قَبْلُ أَبَانَا آدَمَا

يَمْنَحُهُ مَن شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ … فَلْنَسْأَلِ الْمَزِيدَ مِنْ إِسْعَادِهِ

وَرُبَّمَا كَانَ الْخِتَامُ بِالدُّعَا … مُصَلِّيًا عَلَىٰ أَجَلِّ مَن دَعَا

صلَّىٰ عَلَـيْهِ اللهُ مَا نَجْـمٌ هَـوَىٰ ... وَآبَ مِن بَـعْدِ الْفِرَاقِ ذُو الْجَوَىٰ

وَإِن دَعَا الشَّيْخُ بِـمَا قَـدْ ثَبَتَا ... مُـكَـفِّرًا عَن لَـغْـوِهِ فَـقَدْ أَتَىٰ

بِسُنَّـةٍ تَكَـادُ أَن تَـغِيبَ عَنْ ... مَجَالِسِ التَّدْرِيسِ فِي هَـٰذَا الزَّمَنْ

وَفِي مُكُوثِ الشَّيْخِ بَعْدَ الدَّرْسِ فِي ... مَكَانِـهِۦ نَـفْـعٌ كَـبِيرٌ فَاعْرِفِ

مِنْهَا سُؤَالُ الشَّيْخِ عَنْ أَحْـوَالِ ... مِنِ اخْـتِـصَاصِ صَاحِبِ السُّؤَالِ

أَوْ عَنْ أُمُورٍ جَـمَّـةٍ لَا تَـتَّصِلْ ... بِالـدَّرْسِ كَالسُّؤَالِ عَنْ أَمْرٍ مُخِلّْ ٨٤٠

أَوِ اسْـتِـشَارَةٍ ، أَوِ اجْـتِـنَـابِ ... تَـزَاحُـمٍ عَلَـيْهِ عِندَ الْـبَابِ

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ آدَابِ الشَّيْخِ مَعَ طُلَّابِهِ فِي سَائِرِ الأَحْوَالِ

وَمِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الآدَابِ ... إِخْلَاصُهُ لِلْوَاحِدِ الْوَهَّابِ

فِي نَشْرِهِ الْعِلْمَ، وَإِظْهَارِ الْهُدَى ... وَطَمْسِهِ الْجَهْلَ، وَكَبْتِهِ الْعِدَا

وَالْعَالِمُ الْحَاذِقُ مَن يُرَغِّبُ ... طُلَّابَهُ فِي الْعِلْمِ، إِذْ يَحْتَسِبُ

تَعْلِيمَهُمْ للهِ جَلَّ، يَعْتَنِي ... بِكُلِّ طَالِبٍ نَبِيهٍ زَكِنِ

وَمَا لِنَفْسِهِ يُحِبُّ فَلْيُحِبّْ ... لَهُمْ، وَيُعْنَى دَائِماً بِالْمُغْتَرِبْ

يُوصِي الْجَمِيعَ، يَبْذُلُ الإِحْسَانَا ... لَهُمْ، وَيُحْيِي فِيهِمُ الإِيمَانَا

يُثْنِي عَلَى الْمُحْسِنِ، وَالْمُسِيئَا ... يُرْشِدُهُ مِنْ أَجْلِ أَن يَفِيئَا

لِلرُّشْدِ، دُونَ الْعُنفِ وَالتَّعَسُّفِ ... وَإِنَّمَا بِالرِّفْقِ وَالتَّلَطُّفِ

وَلْيَجْتَهِدْ فِي بَسْطِهِ الْعِبَارَهْ ... دُونَ اكْتِفَاءٍ مِنْهُ بِالْإِشَارَهْ ٨٥٠

مُصَوِّرًا دَقَائِقَ الْمَسَائِلِ ... مُسْتَرْشِداً بِأَقْرَبِ الدَّلَائِلِ

وَلْيُعْنَ بِالتَّمْثِيلِ وَالتَّعْلِيلِ ... مُسْتَشْهِداً بِثَابِتِ الدَّلِيلِ

وَعِندَ ذِكْرِ الِاخْتِلَافِ يُورِدُ ... أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا يَقْصِدُ

مَعَ الثَّنَاءِ الْجَمِّ وَالتَّرَحُّمِ ... عَلَيْهِمُ فَهُمْ هُدَاةُ الأُمَمِ

وَلْيُحْسِنِ الظَّنَّ بِهِمْ مُعْتَذِرَا ... عَمَّا لَهُمْ مِنْ خَطَأٍ قَدْ ظَهَرَا

يُـؤْخَـذُ مِن كُلِّ إمَامٍ وَيُـرَدّْ ... إلَّا الَّذِيْ عَنْهُ الدَّلِـيلُ قَـدْ وَرَدْ

صَلَّىٰ عَلَـيْهِ اللهُ كُلَّ آنِ ... مَاغَنَّتِ الْأَطْيَارُ فِي الْأَغْصَانِ

وَإِنْ أَرَادَ الشَّيْخُ أَن يَخْـتَبِـرَا ... طُـلَّابَـهُ فَحَـسَنٌ كَيْ يَخْـبُـرَا

مَن فَهِمَ الدَّرْسَ وَمَن لَمْ يَـفْهَـمِ ... كَـذَا أَتَىٰ فِي طُـرُقِ التَّـعَلُّـمِ

وَلْيَـأْمُـرِ الطُّلَّابَ بِالْإِعَـادَهْ ... فَـإِنَّـهَا مِن سُبُلِ الْإِفَـادَهْ ٨٦٠

تُثَبِّتُ الدَّرْسَ لَدَىٰ الطُّلَّابِ ... وَتُـورِثُ الْقُدْرَةَ فِي الْخِطَابِ

وَلْـيَأْخُـذِ الْـجَمِيعَ بِالـتَّـدَرُّجِ ... فِي كُـلِّ عِلْمٍ فَـهْوَ خَـيْـرُ مَنْهَجِ

مُقَـدِّمًا ذِكْـرَ الْأَهَـمِّ فَالْأَهَـمّْ ... وَلْـيَمْنَعِ اسْتِكْثَارَهُمْ خَوْفَ السَّأَمْ

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ ... مَزِيـدُ تَفْـصِيلٍ ، سَمَوْتَ بِالْأَدَبْ

وَإِن رَأَىٰ تَـضَجُّـرًا أَوْ مَلَلَا ... مِنْ أَحَـدٍ أَوْصَاهُ أَن يُـقَلِّـلَا

مِن بَذْلِهِ الْجَـهْدَ وَأَن يُـرَوِّحَـا ... عَن نَـفْسِهِ بِمَا يُـزِيلُ التَّـرَحَـا

وَلَا يُفَضِّلْ أَحَـدًا عَلَىٰ أَحَـدْ ... عِندَ التَّسَاوِي فَهْوَ أَمْرٌ يُنتَـقَدْ

وَلَا يُـمَـيِّـزْ أَحَـدًا إلَّا بِـمَـا ... أُوتِيَ مِنْ عِلْـمٍ وَفَـضْلٍ عُلِـمَـا

وَاعْلَـمْ بِأَنَّ الْعَـالِـمَ الْأَرِيـبَا ... مَن كَـانَ مِن طُلَّابِهِ قَـرِيـبَا

مُرَاقِـبًا أَحْـوَالَـهُمْ مِثْلَ الْأَبِ ... وَكَالطَّبِيبِ الْحَـاذِقِ الْمُـجَرِّبِ ٨٧٠

يَـزْجُـرُهُمْ عَن صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ ... مُرَغِّـبًا فِي صُحْـبَةِ الْأَخْـيَارِ

يَـدْعُوهُـمُ لِأَحْسَنِ الْأَخْـلَاقِ عِـنـدَ تلَاقِـيهِـمْ وَالِافْتِـرَاقِ
يَسْعَىٰ لَـهُمْ فِي سَائـرِ الْمَصَالِحِ فَـهْوَ لَـهُمْ مَا عَاشَ خَيْـرُ نَاصِح
يُـعِينُـهُمْ دومًا عَلَىٰ النَّـوَائـبِ مُـذَلِّـلاَ لِأَكْثَرِ الْمَصَاعِبِ
يَـسْأَلُ عَنْ غَائـبِهِـمْ مَاسَبَبُ غِيَـابِـهِ : هَلْ سَفَرٌ أَوْ وَصَبُ
أَوْ غَيْـرُ هَـٰذَيْنِ مِنَ الْأَسْـبَابِ وَالْمَـرْءُ عُرْضَـةٌ لِكُلِّ عَابِ
فَإِن يَـكُـن مُسَافِـرًا تَـفَـقَّدَا أُسْرَتَـهُ ، أَكْرِمْ بِـهَـٰذَا سُؤْدَدَا
أَوْ عَادَهُ إِن كَانَ مُدْنَـفًا ، وَمَنْ بِـهِ فُـتُورٌ رَدَّهُ إِلَىٰ السَّنَنْ
وَزِيـنَـةُ الْـعَالِـمِ فِي الـتَّوَاضُعِ فَالزَّهْوُ وَالْعِلْمُ ذَوَا تَدَافُعِ

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أن يُعْنَىٰ بِهِ طَالِبُ الْحَدِيثِ وَالْمُحَدِّثُ، وَذِكْرِ أَهَمِّ تَصَانِيفِ الْحَدِيثِ وَعُلُومِهِ، وَبَيَانِ أَهَمِّ الْآدَابِ مَعَ كُتُبِ الْعِلْمِ عَامَّةً، وَذِكْرِ أَشْهَرِ قَوَاعِدِ الضَّبْطِ وَالتَّدْوِينِ

وَفِيهِ مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أن يُعْنَىٰ بِهِ طَالِبُ الْحَدِيثِ وَالْمُحَدِّثُ.

مَا مَرَّ مِن مَحَاسِنِ الْآدَابِ	يَشْمَلُ قَطْعًا سَائِرَ الطُّلَّابِ ﴿٨٨٠﴾
وَمِنْهُمُ طُلَّابُ عِلْمِ الْأَثَرِ	فَكَمْ لَهُمْ فِي نَشْرِهِ مِنْ أَثَرِ
وَثَمَّ آدَابٌ بِهَا يَنفَرِدُ	أَرْبَابُهُ، بِهَا النُّفُوسُ تَسْعَدُ
أَكْثَرُهَا - اعْلَمْ - لَمْ يَعُدْ مَوْجُودَا	فِي جِيلِنَا هَذَا، وَلَن يَعُودَا
قَطْعًا ؛ لِأَنَّ زَمَنَ الرِّوَايَهْ	قَدِ انقَضَىٰ فَلْتَحْسُنِ الدِّرَايَهْ
بِتِلْكُمُ الْمُصَنَّفَاتِ الزَّاخِرَهْ	وَمَا حَوَتْهُ مِنْ عُلُومٍ زَاهِرَهْ
فَبِالصَّحِيحَيْنِ ابْدَأَنْ ، وَقَدِّمِ	سِفْرَ الْبُخَارِيِّ فَسِفْرَ مُسْلِمِ
وَثَنِّ مِن بَعْدِهِمَا بِالسُّنَنِ	مُبْتَدِئاً بِالتِّرْمِذِيِّ الْمُتْقِنِ
لِأَنَّهُ يَحْوِي الْخِلَافَ الْعَالِي	وَمَا عَلَيْهِ مَعْقِدُ الْأَعْمَالِ
مُبَيِّنًا مَرَاتِبَ الْحَدِيثِ	لِأَنَّ ذَاكَ مَقْصِدُ التَّحْدِيثِ
كَذَا الْإِشَارَةُ إِلَى الشَّوَاهِدِ	وَغَيْرِهَا مِنْ دُرَرِ الْفَرَائِدِ ﴿٨٩٠﴾

وَفِيـهِ مِن نَقْـدِ الرِّجَـالِ دُرَرُ وَمِنْ عُلُومٍ كَـالَّلآلِي تَـزْهَـرُ

وَمَن يَكُـن فِي بَيْتِـهِ يَنتَـفِعُ بِـمَا حَـوَاهُ فَهْوَ بَـدْرٌ يَسْطَعُ

كَـأَنَّـمَا فِيـهِ نَـبِيٌّ يَخْطُبُ وَهْوَ وَلَا غَرْوَ كِـتَابٌ عَجَبُ

وَجَـامِـعٌ مِنْ أَعْظَمِ الْجَـوَامِعِ بِـهِ مِنَ الْمَنقُولِ كُلُّ نَافِـعِ

وَاعْنَ بِشَأْنِ السُّنَنِ الـرِّوَاءِ أَيْ لِأَبِي دَاوُدَ فَالنَّسَائِي

خِـتَامُـهَا سِفْرُ فَـتَىٰ قَـزْوِيـنِ وَهَـٰذِهِ السِّتَّـةُ حِـصْنُ الـدِّيـنِ

وَبَـعْـدَ ذَا يَحْسُنُ بِالطَّالِبِ أَنْ يُعْنَىٰ بِسِفْرِ مَالِكٍ نَجْـمِ السُّنَنْ

أَعْنِي الْـمُـوَطَّأَ وَمَا قَـدْ أَوْدَعَـهْ مِن دُرَرِ الْفِقْهِ الْحِسَانِ الْمُمْتِعَـهْ

وَمِن صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْـمَةَ اسْتَفِدْ لَـٰكِنَّ ذَا الْـكِتَابَ جُـلُّهُ فُقِدْ

وَبِـالصَّحِيحِ لِابْنِ حِبَّانَ اعْتَـنِ وَالْـفَارِسِيُّ كَـمْ بِشَأْنِـهِ عُنِي

رَتَّـبَهُ فِي سِفْرِهِ «الْإِحْسَانِ» أَحْسَـنَ فِـيهِ غَايَـةَ الْإِحْسَانِ

وَالسُّنَنِ الْكُبْرَىٰ مَعَ الْمُسْتَدْرَكِ كَـمْ بِـهِمَا مِنْ غَامِضٍ لَمْ يُدْرَكِ

وَمِن كُـنُوزٍ بِـهِمَا قَـدْ غُمِرَتْ وَبِـالْأَسَانِيدِ الطِّوَالِ احْتَجَبَتْ

إِبْـرَازُهَا يَـتِمُّ بِالـتَّـحْـقِيـقِ فَهَلْ لِذَا التَّحْـقِيـقِ مِن فَـرِيـقِ

مِـمَّن لَـهُـمْ دِرَايَـةٌ بِالْعِلَلِ وَطُـرُقِ الْأَدَاءِ ، وَالـتَّـحَـمُّلِ

وَبِـالْمَسَانِيدِ اشْتَغِلْ كَـمُسْنَدِ إِمَامِ أَهْـلِ الـسُّنَّـةِ الْـمُـمَـجَّدِ

وَبِالْمُصَنَّفَيْنِ لِلصَّنْعَانِي   وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ذِي الْإِتْقَانِ
وَمُسْنَدِ الْبَزَّارِ ، وَالْمَعَاجِمِ   لِلطَّبَرَانِيِّ ، وَسِفْرِ الدَّارِمِي
وَاحْتَفِ بِالْأَفْرَادِ ، وَالْوُحْدَانِ   وَكُتُبِ التَّخْرِيجِ ، وَالْبُلْدَانِ
كَذَاكَ بِالْأَجْزَاءِ ، وَالْأَطْرَافِ   وَكُتُبِ الزَّوَائِدِ الظِّرَافِ
وَكُتُبِ الْمُشْكِلِ ، وَالْإِعْرَابِ   وَالنَّسْخِ ، وَالْغَرِيبِ ، وَالْأَسْبَابِ
وَكُتُبِ الْمُصْطَلَحِ الْمُحَرَّرَهْ   وَكُتُبِ التَّرَاجِمِ الْمُعْتَبَرَهْ
وَاحْفِلْ إِذَا رُمْتَ ازْدِيَاداً بِالْعِلَلْ   وَهْوَ عَسِيرٌ دُونَهُ وَخْزُ الْأَسَلْ
وَأَمْعِنِ النَّظَرَ فِي الشُّرُوحِ   كَالْفَتْحِ كَمْ بِهِ مِنَ الْفُتُوحِ
وَاعْنَ بِالِاسْتِذْكَارِ وَالتَّمْهِيدِ   كَمْ بِهِمَا مِنْ مَبْحَثٍ فَرِيدِ
وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْأَسْفَارِ   يُخْطِئُهَا الْعَدُّ مَدَى الْأَعْصَارِ

الْمَطْلَبُ الثَّانِي

فِي بَيَانِ أَهَمِّ الْآدَابِ مَعَ كُتُبِ الْعِلْمِ عَامَّةً ، وَذِكْرِ أَشْهَرِ قَوَاعِدِ الضَّبْطِ وَالتَّدْوِينِ .

وَآلَةُ الْعِلْمِ الْكِتَابُ فَاحْتَفِ ۝ بِهِ لِتَرْقَىٰ فِي سَمَاءِ الشَّرَفِ

خَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ يُتْحِفُ ۝ قَارِئَهُ بِكُلِّ مَا يُسْتَظْرَفُ

نِعْمَ الْأَنِيسُ لَا تَرَىٰ مِنْهُ الدَّخَلْ ۝ خَيْرُ قَرِينٍ وَنَزِيلٍ إِنْ حَفَلْ

بِكُلِّ مَا يُفَصِّلُ الْأَحْكَامَا ۝ وَيَشْرَحُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَا ٩٢٠

أَوْ كَانَ فِي بَيَانِ عِلْمٍ نَافِعِ ۝ مِنْ آلَةٍ ، وَكُلِّ أَمْرٍ مَاتِعِ

وَكَمْ كِتَابٍ بِالضَّلَالِ يَطْفَحُ ۝ وَبِالسُّمُومِ وَالرَّزَايَا يَنْضَحُ

فَلْيَكُنِ اقْتِنَاؤُكَ الْكِتَابَا ۝ وَسِيلَةً تُحَقِّقُ الرَّغَابَا

لَا أَنْ تَرَاهُ فِي الرُّفُوفِ مُدْبِرَا ۝ وَلَمْ تَكُنْ حَتَّىٰ اسْمَهُ مُسْتَحْضِرَا

وَاضْبِطْهُ بِالْعَرْضِ عَلَىٰ الشُّيُوخْ ۝ مَن عُرِفُوا بِالْفَهْمِ وَالرُّسُوخْ

ثُمَّ عَلَىٰ الْأُصُولِ بِالْمُقَابَلَهْ ۝ صَحِّحْ نُصُوصَهُ فَذَا لَا مِثْلَ لَهْ

بِهِ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَثَّقُوا ۝ أَسْفَارَهُمْ وَكُلَّ حَرْفٍ دَقَّقُوا

وَكُلَّ أَمْرٍ يَا فَتَىٰ ذِي بَالِ ۝ فَابْدَأْ بِـ«بِسْمِ اللَّهِ» ذِي الْجَلَالِ

مُثَنِّيًا بِحَمْدِهِ مُصَلِّيَا ۝ مُسَلِّمًا عَلَىٰ خِتَامِ الْأَنْبِيَا

صَلَّىٰ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ۝ غَرَّدَتِ الْأَطْيَارُ فِي جَوِّ السَّمَا ٩٣٠

وَفِي الْحَوَاشِي دوّنِ التَّعْلِيقَا ... وَالْخَطَّ حَسِّنْ ، لَا يَكُن دَقِيقَا

وَالضَّبْطُ بِالْحَرْفِ هُوَ الْمُخْتَارُ ... طَبَّقَهُ أَئِمَّةٌ كِبَارُ

وَالضَّبْطُ بِالشَّكْلِ طَرِيقُ الْأَكْثَرِ ... وَيَكْثُرُ التَّصْحِيفُ فِيهِ فَاحْذَرِ

وَالْحَاءُ لِلشَّكِّ ، وَلِلتَّحْوِيلِ ... عِندَ أُولِي التَّحْدِيثِ فَافْهَمْ قِيلِي

وَ(صَحَّ) لِلتَّصْحِيحِ أَمَّا حَرْفُ (لَا) ... فَلِلزِّيَادَاتِ ، بَلَغْتَ الْأَمَلَا

وَإِنْ حُرُوفٌ سَقَطَتْ أَوْ أَسْطُرُ ... تُلْحَقْ وَفِي حَاشِيَةٍ تَسَطَّرُ

مِن جِهَةِ الْيَمِينِ وَهْيَ اللَّحَقُ ... تَسْمِيَةً بِنَصِّ الْأَصْلِ يُلْحَقُ

وَمَيِّزِ الْأَبْوَابَ وَالتَّرَاجِمَا ... بِحُمْرَةٍ وَنَحْوِهَا مُعَلِّمَا

بِذَلِكَ اللَّوْنِ عَلَى الْأَسْمَاءِ ... وَنَحْوِهَا مِنْ أَشْهَرِ الْآرَاءِ

وَمِثْلُهَا الْأَبْوَابُ ، وَالْفُصُولُ ... كَذَلِكَ الْأَعْدَادُ ، وَالْمَنقُولُ (٩٤٠)

مِن نَصِّ آيَةٍ وَمِنْ حَدِيثٍ أَوْ ... شَوَاهِدٍ مِمَّا الرُّوَاةُ قَدْ رَوَوْا

وَكَبِّرِ الْخَطَّ إِذَا تَعَذَّرَا ... لَوْنٌ وَذَا فِي الْكُتْبِ قَدْ تَقَرَّرَا

وَقَدْ خَلَتْ فِي زَمَنِ الرِّوَايَهْ ... وَزَمَنِ التَّحْدِيثِ وَالدِّرَايَهْ

آدَابُ تَدْوِينٍ طَوَاهَا الزَّمَنُ ... وَبَعْثُهَا فِي عَصْرِنَا لَا يُمْكِنُ

بَعْدَ اخْتِرَاعِ آلَةِ الطِّبَاعَهْ ... وَغَيْرِهَا مِنْ أَضْرُبِ الصِّنَاعَهْ

قَدْ جَاءَ فِي «أَلْفِيَّةِ الْعِرَاقِي» ... تَفْصِيلُهَا فِي أَحْسَنِ السِّيَاقِ

وَفِي شُرُوحِهَا مِنَ التَّفْصِيلِ ... مَا فِيهِ إِيضَاحٌ مَعَ التَّمْثِيلِ
وَإِن بَلَغْتَ فِي الْقِرَاءَةِ أَوِ الْـ.....ـعَرْضِ عَلَىٰ الشَّيْخِ إِلَىٰ فَصْلٍ فُصِلْ
عَن سَابِقٍ، أَوْ مَبْحَثٍ مِنْهُ فَرَغْ ... مُصَنِّفٌ، فَاكْتُبْ إِزَاءَهُ «بَلَغْ»
أَوْ بَلَغَ الْعَرْضُ، وَبَعْضٌ يَذْكُرُ ... مِن بَعْدِهِ اسْمَهُ، وَهَـٰذَا يَنْدُرُ ٩٥٠

★ ★ ★

وَدُمْ عَلَىٰ تَعْظِيمِ ذِي الْجَلَالِ ... نُطْقًا وَخَطًّا سَائِرَ الْأَحْوَالِ
مِثْلُ «تَعَالَىٰ» وَ«تَبَارَكَ اسْمُهُ» ... وَ«جَلَّ شَأْنُهُ» وَ«عَزَّ حُكْمُهُ»
وَاحْذَرْ مِنَ الرَّمْزِ بِحَرْفِ الصَّادِ ... إِذَا تَلَفَّظْتَ بِذِكْرِ الْهَادِي
فَالرَّمزُ - يَا بُنَيَّ - مِن سُوءِ الْأَدَبْ ... مَعَ الَّذِي تَوْقِيرُهُ حَتْمًا وَجَبْ
صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَا تَالٍ تَلَا ... وَمَا تَسَامَىٰ ذِكْرُهُ بَيْنَ الْمَلَا
ثُمَّ عَنِ الصَّحْبِ تَرَضَّ إِن يَرِدْ ... ذِكْرٌ لَهُمْ مِن دُونِ رَمْزٍ، وَابْتَعِدْ
عَنْ رَمْزِ «رَضَّ» رَضَّ رَبِّي عُنْقَا ... مَنْ سَبَّهُمْ أَلَا فَسُحْقًا سُحْقَا
ثُمَّ عَلَىٰ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ ... فَلْتَتَرَحَّمْ يَا أَخَا الْإِسْلَامِ
وَاحْرِصْ عَلَىٰ تَارِيخِ مَا كَتَبْتَا ... فَهْوَ مِنَ التَّوْثِيقِ لَوْ فَطِنْتَا
وَبِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَاخْتِمِ ... عَلَىٰ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْأَعْظَمِ ٩٦٠
وَاعْتَادَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْخِتَامِ ... إِتْيَانَهُمْ بِـ «تَمَّ» لِلْإِتْمَامِ
وَبِالْإِجَازَاتِ احْتَفِلْ وَبَادِرِ ... بِأَخْذِهَا عَنْ كُلِّ شَيْخٍ مَاهِرِ

وَلَا تُعِرْ أيَّ كِتَابٍ نَادِرِ | إلَّا لِخِلٍّ ذِي وَفَاءٍ ظَاهِرِ
وَلْيَكُنِ الْكِتَابُ فِي صِيَانَهْ | مُنَزَّهًا عَن طُرُقِ الْإِهَانَهْ
وَلَا تَضَعْ نَظَّارَةً أَوْ قَلَمَا | فَوْقَ كِتَابِ رَبِّنَا، وَعَظِّمَا
وَمِثْلُهُ كُلُّ كِتَابٍ اشْتَمَلْ | عَلَىٰ نُصُوصٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلّ
أَوْ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِ الْأَنَامِ | مِن كُلِّ مَا صَحَّ عَنِ الْأَعْلَامِ
وَإِنَّ بَلَّ صَفَحَاتِ الْمُصْحَفِ | بِالرِّيقِ لِلتَّفْتِيشِ جِدُّ مُؤْسِفِ
لِأَنَّهُ مِنْ أَسْوَءِ الْآدَابِ مَعْ | كَلَامِ مَنْ أَنزَلَهُ لِيُتَّبَعْ
لَوْ بَلَّ شَخْصٌ يَا أُخَيَّ إِصْبَعَا | بِرِيقِهِ ثُمَّ أَمَرَّ الْإِصْبَعَا
عَلَىٰ لِبَاسِ وَاحِدٍ مِنَّا ، فَهَلْ | يَقْبَلُ ذَا كَلَّا ، فَرُبَّمَا تَفَلْ
عَلَيْهِ ، أَوْ مَدَّ يَدًا لِيَصْفَعَا | جَبِينَهُ ، أَوْ عَضَّ تِلْكَ الْإِصْبَعَا
وَلْيَكُنِ التَّرْتِيبُ بِاعْتِبَارِ | أَشْرَفِهَا ، فَاجْعَلْ كِتَابَ الْبَارِي
أَعْلَىٰ الْجَمِيعِ ، وَاجْعَلِ التَّفْسِيرَا | أَسْفَلَهُ ، أَكْرِمْ بِذَا تَقْدِيرَا
لِوَحْيِ ذِي النِّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ | الْمُسْتَعَانِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
وَهَـٰكَذَا الْأَشْرَفُ فَالْأَشْرَفُ فِي | تَرْتِيبِكَ الْعُلُومَ فَادْأَبْ وَاحْتَفِ

٤٧٠

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ أَشْهَرِ عَوَائِقِ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا

وَإِن شَرَعْتَ يَا فَتَىٰ فِي الطَّلَبِ ... مُسْتَبْصِراً بِالْمَنْهَجِ الْمُنتَخَبِ

ثُمَّ تَحَلَّيْتَ بِحُسْنِ الْأَدَبِ ... مُمْتَثِلاً فِي رَغَبٍ وَرَهَبِ

فَاحْذَرْ مِنَ الْعَوَائِقِ الْكَثِيرَهْ ... لَاسِيَّمَا فِي الْأَعْصُرِ الْأَخِيرَهْ

وَهِيَ قِسْمَانِ: فَقِسْمٌ قَدْ ذُكِرْ ... فِي كُتُبِ الْعِلْمِ الَّتِي لَا تَنْحَصِرْ ٩٨٠

ثَانِيهِمَا : عَوَائِقُ الزَّمَانِ ... وَهْيَ الَّتِي تَحْدُثُ كُلَّ آنِ

وَالْبَدْأُ أَوَّلاً بِمَا قَدْ وَرَدَا ... فِي كُتُبِ الْعِلْمِ هُدِيتَ لِلْهُدَىٰ

مُقْتَصِرًا عَلَىٰ أَهَمِّ مَا ذُكِرْ ... فِي تِلْكُمُ الْكُتْبِ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

أَسْوَأُهَا - بُنَيَّ - تَرْكُكَ الْعَمَلْ ... بِمَا عَلِمْتَ، وَهْوَ أَكْبَرُ الْخَلَلْ

وَمِثْلُهُ قَصْدُكَ غَيْرَ اللهِ ... بِهِ، وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَنَاهِي

حَذَارِ أَن تَطْلُبَهُ لِمَنصِبِ ... وَغَيْرِهِ مِنْ غَرَضٍ وَمَأْرِبِ

بَعْدَهُمَا الْأَخْذُ عَنِ الصِّغَارِ ... فِي الْعِلْمِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْكِبَارِ

كَذَاكَ نَبْذُ الْمَنْهَجِ الْأَصِيلِ ... فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِلَا دَلِيلِ

كَعَدَمِ الْأَخْذِ عَنِ الْأَعْلَامِ ... وَالْخَوْضِ فِي أَسْفَارِهِ الْعِظَامِ

مِن دُونِمَا تَدَرُّجٍ، وَلَا بَصَرْ ... بِآلَةٍ تُعِينُهُ عَلَىٰ النَّظَرْ ٩٩٠

فِيمَا حَوَتْهُ هَٰذِهِ الْأَسْفَارُ   مِنَ الْغَوَامِضِ الَّتِي يَحَارُ

فِيهَا الْحِجَىٰ، ثُمَّ مِنَ النَّوَازِلِ   تَصَدُّرُ الْجُهَّالِ فِي الْمَحَافِلِ

كَذَا التَّهَافُتُ عَلَىٰ التَّصْنِيفِ   وَجُلُّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّزْيِيفِ

كَمَا مَضَىٰ - بُنَيَّ - فِي التَّقْدِيمِ   فَلْتَنْأَ عَنْ ذَا الْمَسْلَكِ الْعَقِيمِ

وَبَعْضُهُمْ لِجَهْلِهِ قَدْ جَعَلَهْ   طَرِيقَ تَحْصِيلٍ وَذَا مِنَ الْبَلَهْ

وَبَعْضُهُمْ تَرَاهُ فِي تَنَقُّلِ   بَيْنَ الشُّيُوخِ وَهْوَ لَمْ يُحَصِّلِ

مِنْ عِلْمِهِمْ شَيْئًا ، وَكَالْمُنبَتِّ   أَصْبَحَ ، مَعْ تَضْيِيعِهِ لِلْوَقْتِ

وَبَعْضُهُمْ يَشْرَعُ فِي فُنُونِ   كَثِيرَةٍ تُفْضِي إِلَىٰ الْفُتُونِ

بِالِانْقِطَاعِ عَنْ حَيَاةِ الْعِلْمِ   وَهَلْ كَمِثْلِ الْعِلْمِ يَا ذَا الْفَهْمِ

فَالْعِلْمُ لَا يُؤْخَذُ جُمْلَةً وَلَا   يَسْطِيعُ ذَاكَ بَشَرٌ فَلْتَعْقِلَا

وَمَن يَجِئْ إِلَىٰ دُرُوسٍ تُعْقَدُ   فِي أَعْوَصِ الْعُلُومِ وَهْوَ يَفْقِدُ

أَدْنَىٰ الْمُقَدِّمَاتِ فِي الْعُلُومِ   يَغْرَقْ بِشَطِّ لُجِّهَا الطَّمُومِ

وَهِيَ الَّتِي تُعْرَفُ - يَاذَا - بِالْأُسُسْ   فِي ثَالِثِ الْفُصُولِ جَاءَتْ يَانَدُسْ

مَن يَطْلُبُ الْعِلْمَ بِلَا تَدَرُّجِ   كَمَن يَرُومُ السَّطْحَ دُونَ الدَّرَجِ

فَإِ(كُلُّ عِلْمٍ غَامِضٍ رَفِيعِ   فَإِنَّهُ بِالْمَوْضِعِ الْمَنِيعِ

لَا يُرْتَقَىٰ إِلَيْهِ إِلَّا عَنْ دَرَجْ   مِن دُونِهِ بَحْرٌ طَمُومٌ وَلُجَجْ

وَلَا يَنَالُ ذُرْوَةَ الْغَايَاتِ ... إِلَّا عَلِيمٌ بِالْمُقَدِّمَاتِ}

وَمَن يَكُن بِالْكِبْرِ قَدْ تَدَثَّرَا ... وَبِالْغُرُورِ - يَا بُنَيَّ - اتَّزَرَا

وَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ ، فَكَبِّرِ ... عَلَيْهِ أَرْبَعًا ، وَبِالْمُقْتَدِرِ

سُبْحَانَهُ لُذْ رَاغِبًا ، وَسَلْهُ أَنْ ... تَسْلَمَ مِن شَرِّ الرَّزَايَا وَالْمِحَنْ ١٠١٠

فَهَذِهِ الْخِلَالُ لِلْحِرْمَانِ ... تُفْضِي - فَجَانِبْهَا - وَلِلْخُسْرَانِ

ثُمَّ دَعِ التَّسْوِيفَ وَالْأَمَانِي ... وَاطَّرِحَنْ كَذَلِكَ التَّوَانِي

وَاجْتَنِبِ الْوُقُوعَ فِي الْعِصْيَانِ ... فَإِنَّهُ مَجْلَبَةُ النِّسْيَانِ

لَا يَقْتَرِبْ مِنكَ نُزُولُ الْهِمَّهْ ... إِن كُنتَ عَاشِقًا صُعُودَ الْقِمَّهْ

★ ★ ★

أَمَّا عَوَائِقُ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ ... فَإِنَّهَا - وَاللَّهِ - فِي تَكَاثُرِ

بَلْ هِيَ كَالطُّوفَانِ فِي اكْتِسَاحِهِ ... وَقَاصِفِ الرِّيحِ لَدَى اجْتِيَاحِهِ

قَدْ أَجْلَبَتْ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ ... بِكُلِّ صَائِلٍ عَلَى الْأَحْلَامِ

تَفَنَّنَتْ فِي الْمُغْرِيَاتِ الصَّارِفَهْ ... وَالْمُلْهِيَاتِ الْفَاتِنَاتِ الزَّائِفَهْ

مِن قَنَوَاتٍ تَكْشِفُ الْمَسْتُورَا ... وَتُبْرِزُ الْمُحْتَقَرَ الْمَغْمُورَا

وَتَجْعَلُ الْقَدْمَ الْجَهُولَ عَالِمَا ... وَتُبْصِرُ الظُّلْمَ بِهَا وَالظَّالِمَا ١٠٢٠

نَاهِيكَ عَن شَبَكَةِ الْعَنَاكِبِ ... وَمَا بِهَا مِنْ أَغْرَبِ الْغَرَائِبِ

فَإِنَّهَا عَلَى اسْمِهَا فَلْتَحْذَرِ ... مِنْ خَوْضِ بَحْرِهَا الْعَمِيقِ الْأَخْطَرِ

فَكَمْ بِهَا مِن نَـافِعٍ وَهَـابِطِ ... وَكَمْ بِهَا مِن صَائِبٍ وَخَابِطِ

وَمِنْ عَوَائِقِ الـزَّمَانِ الصُّحُفُ ... كَـذَا الْمَجَلَّاتُ وَمَا يُكْتَشَفُ

مِن طُرُقِ الْإِلْهَاءِ وَالصَّوَارِفِ ... عَن نَـافِـعِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ

وَلَسْتُ مُنكِـراً بِأَنَّ أَكْثَرَا ... هَـٰذِي الْـوَسَائِـلِ مُفِيدٌ لِلْوَرَىٰ

إِن سُخِّـرَتْ لِخِدْمَةِ الْإِسْلَامِ ... كَمَا أَتَىٰ عَن سَيِّدِ الْأَنَـامِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَعْ سَلَامِهِ ... فِي مَبْدَأِ الْقَوْلِ وَفِي خِتَامِهِ

لَا سِيَّمَا مَيْدَانُ تِلْكَ الشَّبَكَهْ ... إِذِ اقْـتِحَامُهُ جُـزَافًا مَهْلَكَهْ

فُـرْسَانُـهُ الدُّعَاةُ فَلْيُشَمِّرُوا ... فِي نَشْرِ هَـٰذَا الدِّينِ وَلْيُحَذِّرُوا

١٠٣٠

مِن كَيْدِ كُلِّ كَائِـدٍ حَقُودِ ... وَشَرِّ كُلِّ خَـائِـنٍ حَسُودِ

وَلْيَدْحَضُوا مَا نَسَجُوا مِن بَاطِلِ ... وَشُبَـهٍ تُذَاعُ فِي الْمَحَافِلِ

وَطَالِبُ الْعِلْمِ إِذَا مَا شَرَعَا ... فِي مَنْهَجٍ لَا بُـدَّ أَن يَنقَطِعَا

عَن كُلِّ صَارِفٍ مِنَ الصَّوَارِفِ ... وَكَمْ لِـهَـٰذَا النَّهْجِ مِن مُخَالِفِ

خَاتِمَةٌ

وَهَـٰكَذَا أَتْـمَمْتُ «عُدَّةَ الطَّلَبْ ... بِنَظْمِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالْأَدَبْ»
فَاشْتَمَلَتْ عَلَىٰ أَهَمِّ الْأُسُسِ ... لِذَٰلِكَ الْمَنْهَجِ عِنْدَ الْمُؤْتَسِي
بِمَن مَضَوا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّهْ ... الرَّاسِخِينَ السَّادَةِ الْأَئِمَّهْ
ثُمَّ تَتَبَّعْتُ الشُّرُوطَ الْمُكْمِلَهْ ... لِذَٰلِكَ الْمَنْهَجِ عِنْدَ الْكَمَلَهْ
وَقَدْ ذَكَرْتُ مِنْ عَوَائِقِ الطَّلَبْ ... مَا فِيهِ تَبْصِيرٌ لِأَرْبَابِ الْأَرَبْ
كَذَٰلِكُمْ حَفَّتْ بِكَ الْآدَابُ ... كَأَنَّهَا الْكَوَاعِبُ الْأَتْرَابُ
دِثَارُهَا أُرْجُوزَةٌ مُحَبَّرَهْ ... بِمَا حَوَتْ مِن دُرَرٍ مُنتَثِرَهْ
وَمَهْرُهَا أَن تَتَحَلَّىٰ يَا فَتَىٰ ... بِهَا عَلَىٰ الْفَوْرِ وَلَا تَسْأَلْ مَتَىٰ
فَغَذِّهَا بُنَيَّ بِالْعِبَادَهْ ... فَإِنَّهَا الطَّرِيقُ لِلسَّعَادَهْ
فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا وَفِي أُخْرَانَا ... بِذَٰلِكُمْ يَا قَوْمُ مَا أَحْرَانَا
كَمَا يَقُولُ الشَّيْخُ ذُو الْمَعَالِي ... مُحَمَّدٌ مَن نَعْتُهُ بِـ «عَالِ»
{الْعِلْمُ مِن دُونِ الْعِبَادَةِ هَبَا ... لَا يَسْتَقِرُّ فَحَرٍ أَن يَذْهَبَا
وَالْعِلْمُ فِي التَّمْثِيلِ مِثْلُ الشَّجَرَهْ ... أَمَّا الْعِبَادَةُ فَمِثْلُ الثَّمَرَهْ
فَفَضْلُهُ مِن جِهَةٍ ، وَفَضْلُهَا ... مِن جِهَةٍ : ثَمَرَةٌ وَأَصْلُهَا}
أَبْيَاتُهَا تَمَّتْ بِمَا اقْتَبَسْتُهُ ... مِنْ نُخَبِ النَّظْمِ الَّذِي جَمَعْتُهُ

ذُخْرًا لِكُلِّ طَالِبٍ فَازَيَّنَتْ … أُرْجُوزَتِي بِحُسْنِهِ وَاكْتَمَلَتْ ١٠٥٠

جَعَلْتُهُ ـ يَا صَاحِبِي ـ احْمِرَارَا … مُقْتَفِيًا أَشْيَاخَنَا الْأَخْيَارَا

فِي أَرْضِ شِنْقِيطَ بِلَادِ الْعِلْمِ … وَمَهْيَعِ الْحِفْظِ وَحِصْنِ الْفَهْمِ

★ ★ ★

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِتْمَامِ … مُبْتَهِلاً إِلَيْهِ فِي الْخِتَامِ

أَن يَهَبَ اللهُ لَهَا الْقَبُولَا … فَلَمْ يَزَلْ سُبْحَانَهُ الْمَأْمُولَا

يَا رَبُّ يَا سَمِيعُ يَا بَصِيرُ … يَا مَنْ إِلَيْهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا كَرِيمُ … يَا بَرُّ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ

إِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي الضَّعِيفِ أَبْرَأُ … وَكُلَّ مَنْ عَادَاكَ رَبِّي أَشْنَأُ

يَا رَبِّ وَفِّقْنِي إِلَى الرَّشَادِ … وَمُدَّنِي بِالْعَوْنِ وَالْإِسْعَادِ

أَصْلِحْ سَرِيرَتِي ، وَأَخْلِصْ نِيَّتِي … لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَاغْفِرْ حَوْبَتِي

يَا رَبِّ أَعْطِنِي وَلَا تَحْرِمْنِي … رَبَّاهُ أَكْرِمْنِي وَلَا تُهِنِّي ١٠٦٠

وَافْتَحْ لِقَلْبِيَ الْبَلِيدِ وَأَزِلْ … عَنْهُ غِشَاءَ الْجَهْلِ وَالْعَجْزَ الْمُذِلّْ

وَاغْفِرْ لِمَنْ حَقَّهُمَا قَرَنْتَا … بِحَقِّكَ الْأَعْظَمِ إِذْ قَضَيْتَا

ذَٰلِكَ فِي الْإِسْرَاءِ : ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ … وَالْأَقْرَبِينَ كُلَّهُمْ تَكَرُّمَا

وَاغْفِرْ لِأَشْيَاخِي وَمَنْ أَحَبَّنِي … فِيكَ وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ ، وَأَحْسِنِ

إِلَى الْجَمِيعِ وَاهْدِنَا إِلَى الْهُدَى … وَادْفَعْ عَنِ الْأُمَّةِ أَسْبَابَ الرَّدَى

أَعِـزَّهَا بِـدِينِـكَ الْقَوِيـمِ وَأَعْلِهَا بِنَصْرِكَ الْعَظِيـمِ

رَبَّاهُ وَفِّـقْنَا إِلَىٰ اقْـتِفَاءِ مَنْ حَـفِظْتَ دِينَكَ بِـهِمْ يَا ذَا الْمِنَنْ

مِن سَلَفِ الْأُمَّةِ مِمَّنِ اصْطُفُوا لِنَشْرِ دِيـنِكَ فَـنِـعْـمَ الشَّرَفُ

وَأَظْـهِرَنْ لِلنَّاسِ مَن يُـجَدِّدُ دَعْوتَـهُمْ حَتَّىٰ يَـعُودَ الرَّشَدُ

وَتَسْعَـدَ الْأُمَّةُ بِاتِّـبَاعِ مِنْهَاجِـهِمْ فِي سَائـرِ الْأَصْـقَاعِ ١٠٧٠

وَصَـلِّ يَارَبِّي عَلَىٰ الْمُخْتَارِ وآلِهِ وَصَحْبِـهِ الْأَبْـرَارِ

كان الفراغ من نظمها وتبيـيض مسوّدتها قبيل غروب شمس يوم الثلاثاء الثاني عشر

من شهر صفر الخير من عام ١٤٢٦ هـ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِـمُّ الصَّالِحَاتُ

اَلْمُحْتَوَىٰ

متن أرجوزة

عُدَّةِ الطَّلَب

بنظم منهج التلقي والأدب

أَوْ

«أُرْجُوزَةُ الْآدَابْ»

بسم الله الرحمن الرحيم

كم من يدٍ للمحتمي ... لديَّ لمّا تُشكَمِ

سيَّرني أُرْجوزةً ... كالنور فوق الأكَمِ

كانت لديَّ محجوزة ... لم ينشها قبلُ فمي

بعُدَّة الطلب قد ... نظمتُ مثل الحِكَمِ

ما ابيضَّ في روض الهدى ... كبيضها المرتكمِ

كم أبردت من نظم تعـ......ـليم بديع محكمِ

فصار منذ برزت ... من ينتشقه يُزكمِ

تُضحي المعارض بها ... بُهمٍ وبُكمِ

فالله يجزيه جزا ... ءً الكمال بكمِ؟

الشيخ الغرابيا
محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود
« عدود »

ردمك: ٩٩٦٠-٥٦-٧٧٣-٧